لنـــدن..

عاصمة الضباب.. والموت الغامض!!

عصام عبد الفتاح

القاهرة - 2008

مكتبة الإيمان – المنصورة

ت: 2257882

الطبعة الأولى

1429 هـ - 2008 م

مقدمــة

لماذا.. لندن؟!

سؤال يحمل في طياته الكثير.. والكثير.. وكلها علامات استفهام.. بلا إجابة..

فلندن التي نعرفها جميعنا باعتبارها عاصمة بريطانيا.. التي كانت عظمى في يـومٍ من الأيام.. لم تعد الآن كذلك.. بل أصبحت مركزاً لتجمع كافة الفـروع الخارجيـة الأساسية.. والأولى لكل أجهزة المخابرات العالمية..

C. I. A K. G. B الموساد..

المخابرات الفرنسية.. الإيطالية..

وغيرها من أفرع مخابرات باقي دول العالم.. ومنها بالطبع الدول العربية..

أما الأهم.. فهي أنها أصبحت عاصمةً خاصة لضحايا المـوت الغـامض.. ممـن كانوا في يومٍ من الأيام علي علاقة ما بتلـك الأجهـزة.. أو عصـابات المافيـا.. الـتي تتخذ هي الأخرى من (لنـدن) مسـرحاً لا تتوقـف عليـه عروضـها الدمويـة طيلـة العام..

فهنـــاك اغتيـــل.. الليثـــي ناصـــف.. علـــي شـــفيق.. نـــاجي العلـــي.. سعاد حسني.. وأخيراً أشرف مروان.. هذا من الجانب العربي فقـط.. بينمـا علـى المستوى العالمي هناك الكثير من الضـحايا.. خاصـةً في الجانـب السياسـي.. لا أول لهم.. ولا آخر.. ونعود لنقطة البداية.. ويعود السؤال ليطرح نفسه..

لماذا لندن.. ؟

هذا هو السؤال الذي نحاول الإجابة عنه من خلال هذا الكتاب.

عصـــام عبد الفتـــاح

القاهــــرة

2008

تمهيـد :

..... لندن العاصمة.. بين الأمس.. واليوم!!

الموقـع :

طبيعة لندن عاصمة المملكة المتحدة بشكل عام منبسطة.. وهي أكبر مـدن بريطانيـا من حيث المساحة.. وعدد السكان [1].. لتكون بـذلك أكـبر مـدن أوروبـا [2].. وأحـد أهم مراكز القارة على المستوى السياسي.. والاقتصادي.. والثقافي..

تقع مدينة لندن على الضفة الشمالية لنهر التـايمز في جنـوب بريطانيـا.. حيـث تأسست المدينة القديمة.. والتي تمتد بطول يبلغ حوالي 40 كم علـى ضـفتي النهـر.. الذي كانت صفحته فيما مضى أعرض كثيراً ممـا هـي عليـه الآن.. ويبلـغ متوسـط ارتفاع المدينة فوق سطح البحر 62 متر.. وكان جسر برج لندن الشهير على مـدى عصور عديدة هو الجسر الوحيد الذي يربط ضفتي المدينة ببعضهما البعض.. ويقـع في مركز المدينة.. الحيّ التجاري.. والشوارع المهمة علـى الضـفة الشـمالية للنهـر.. ولأن لندن عرضة للعديد من الفيضانات.. بسبب قربها من بحر الشـمال.. فقـد تم بناء عدد من السدود تمتد بطول شاطئ النهر.. بجانـب مـا تم بنـاؤه بعـد ذلـك مـن جسور أخرى.. بعضها تحمل خطوطاً للسكك الحديدية.

خط جرينتش :

تم تحديد خط الطـول الجغـرافي الـذي يمـر بالمعهـد الفلكـي الملكـي (Royal Observatory) في جرينتش كخط الطول رقم صفر.. وفيما بعد اعتبر هـو خـط القياس الزمني الموحد على مستوي العالم.

---

(1) بحسب إحدي الإحصائيات الرسمية الصادرة عام 2005.. يعـيش في المدينـة حـوالي 7.5 مليـون نسـمة.. منهم حوالي 2.7 في أحياء لندن الداخلية.

(2) إذا استثنينا من القياس كلاً من روسيا وتركيا.

المنـــاخ:

بشكل عام تتواجد المدينة في منطقة مناخية معتدلة.. فصل الصيف يكون في العادة دافئ.. شهر يوليو هو أكثر الشهور حرارة.. حيث يبلغ معدل درجة الحـرارة بـين (3: 16).. وفصل الشتاء بارد.. ولكن درجة الحرارة تتراوح بـين (صـفر.. و 9) درجـات مئوية.. ويعتبرشهر يناير هو أبرد الشهور على مدار السنة.. [(1)].

التقسيم الإداري.. وأشهر معالم العاصمة:

تم تحديد التقسيم الإداري الحالي للندن في الأول من أبريل 1965.. ليضم إلي المدينة القديمة مختلف الأحياء.. التي كانت سبباً في اتساع رقعتها بمـرور السـنوات.. وعرف فيما بعد هذا التقسيم بمسمي (لندن الكبرى).. وأصـبحت مقسـمة إلى 33 منطقة إدارية أو بورو (Boroughs London) [(2)].. ومن أشهر معالمها التاريخية..

---

(1) سجلت في لندن في صيف عام 2003 أعلى درجة حرارة في تاريخ المدينة.. بلغت حينها 37,9 درجة مئوية.

(2) أشهر هذه الأحياء هي:

مدينة لندن City of London

مدينة ويستمينستر City of Westminster

كينغستون وتشيلسي Royal Borough of Kensington and Chelsea

ودندسوورث London Borough of Wandsworth

هامرسميث وفولهام London Borough of Hammersmith and Fulham

لامبيث London Borough of Lambeth

ساوث وارك London Borough of Southwark

تاور هامليتس London Borough of Tower Hamlets

هاكني London Borough of Hackney

أيسلنغتون London Borough of Islington

كامدن London Borough of Camden

برينت Lon don Borough of Brent

إيلنغ Borough of Ealing London

هونسلو London Borough of Hounslow

ريتشموند أبون تايمز London Borough of Richmond upon Thames

172,335.. كنغستون أبون تايمز Royal Borough of Kingston upon Thames

مبنى البرلمان.. ساعة (بج بن).. كما يوجد في المدينة عدد كبير من الجامعات والمعاهد والمتاحف والمسارح.. تتخذ كثير من المنظمات الدولية والشركات العالمية من المدينة مقراً لها.

ميناء لندن النهري:

يتم من خلال ميناء لندن النهري تشغيل 10٪ من مجمل حركة الصادرات والواردات لبريطانيا.. وقطاع الخدمات في المدينة – خاصة البنوك وشركات التأمين – تشكل مصدر عائدات وحركة تجارية مهمة للمدينة ولبريطانيا بشكل عام.

بورصة لندن:

توجد بورصة المملكة الرئيسية في لندن.. وتسمي بورصة لندن.. وهي ثالث أقوى بورصة أوراق مالية علي مستوى العالم بعد بورصتي " نيويورك " و"طوكيو".. كما يوجد بالمدينة شركة تأمين لويدس (Lloyd's) أكبر شركة تأمين في العالم.

ميرتون London Borough of Merton
ساتون London Borough of Sutton
كرويدن London Borough of Croydon
بروملي London Borough of Bromley|
ليويشام London Borough of Lewisham
جرينيتش Borough of Greenwich London
بيكسلي London Borough of Bexley
هافرينغ London Borough of Havering
باركنغ وداغينهام London Borough of Barking and Dagenham
ريدبريدج Borough of Redbridge London
نيوهام London Borough of Newham
والتام فورست London Borough of Waltham Forest
هارينغي London Borough of Haringey
إنفيلد London Borough of Enfield
بارنت London Borough of Barnet
هارو London Borough of Harrow
هيلينغدون London Borough of Hillingdon

السياحة:

يزور لندن سنوياً حوالي 20 مليون سائح.. مما يجعل قطاع السياحة من أهم مصادر الدخل بالنسبة للحركة الاقتصادية في المدينة.

المواصلات الداخلية:

توجد بالمدينة أقدم شبكة سكك حديدية.. وكذلك مترو أنفاق على مستوى العالم.. حيث يعود تاريخها إلى عام 1863.. ويبلغ طولها حوالي 415 كم .

كما أن هناك ثماني محطات قطارات رئيسية في لندن هي:

1- محطة تشارينج كروس (Charing Cross).
2- محطة أوستون (Euston).
3- محطة كنجس كروس (King's Cross).
4- محطة ليفربول ستريت (Liverpool Street).
5- محطة بادينجتون (Paddington).
6- محطة سانت بانكراس (St Pancras).
7- محطة فيكتوريا (Victoria) .
8- محطة واترلو (Waterloo) .
9- محطة لندن بريدج (London Bridge)

وتدير حركة القطارات والباصات العامة بالمدينة شركة المواصلات ترانسبورت فور لندن (Transport for London).

الموانئ.. المطارات:

لندن هي أهم مركز للنقل الجوي في العالم.. حيث يوجد بالمدينة خمسة مطارات دولية.. ويسافر من خلاها سنوياً قرابة مائة.. وعشرين مليون مسافر.. المطارات الخمسة هي:

1- مطار هيثرو (Heathrow).

2- مطار جاتويك (Gatwick).

3- مطار لوتون (Luton).

4- مطار ستانستيد (Stansted)

5- مطار المدينة (لندن) (City Airport).

أشهر معالم المدينة:

1- برج بيج بن: يعرف أيضا باسم برج الساعة لوجود ساعة بيج بين الشهيرة فيه.
2- جسر برج لندن: أول جسر بني في المدينة فوق نهر التايمز.
3- كاتدرائية القديس بولس: أهم كنيسة في لندن.
4- دير ويستمنستر: به مقابر ملوك البلادمبنى .
5- البرلمان البريطاني: الذي يحتوي على مجلس العموم ومجلس اللوردات.
6- مبنى بلدية لندن.
7- ميدان بيكاديللي.
8- القصور الملكية في سانت جيمس.. كينغستون وباكنغهام.
9- متحف مدام تيسود: الذي يعرف أيضا تحت اسم متحف الشمع.
10- المتحف البريطاني.

(مميزات لندن جعلتها مركز المخابرات العالمي)

الاتساع العمراني:

في لنـدن بلـغ التوسـع العمرانـي للمدينـة مـداه إلى درجـة أن خطـوط المواصلات داخلها تقطع ساعتين من طرف إلى طرف آخر.. وهي فترة يمكن خلالها السفر جواً من لندن إلى فرانكفورت.. ولذلك نشأ صراع على اجتذاب الباحثين عن شراء العقارات بين خمس مقاطعات تعتبر هى نفسها ضواحي لندن. وهي تتنافس بالسعر والخدمات ووسائل المواصلات لكي تجذب إليها ساكن لندن المرموق الذي يجلب معه قدرة شرائية عالية مما يدعم الخدمات داخل هذه المقاطعات. ونشأت منافسة بينية تضع المشتري في حيرة: هل يتجه شرقاً أو غرباً.. جنوباً أو شمالاً.. لأن في هذا القرار الكثير من الربح والخسارة. فالاستثمار خارج العواصم يضع مستقبل أسعار العقارات رهينة بما تحققه المقاطعات المختارة من نجاح أو فشل اقتصادي.

ولا تتساوى الضواحي بأي حال من حيث الأسعار ولا نوعيات العقار.. كما أن المستقبل لن يعكس بالضرورة ما حدث في الماضي وإن كانت احتمالات ذلك قوية.

موقع مركزي:

تتفوق الضواحي الغربية للندن على الضواحي الشرقية لعدة عوامل منها الموقع الجغرافي المتوسط القريب من شرايين الطرق الرئيسية إلى الغرب والشمال وأيضا القرب من المطارات الدولية مثل هيثرو وجاتويك.. وهي أيضا تجذب العديد من الشركات الكبرى التي تقيم فيها مراكزها الرئيسية مما يجذب إليها تلقائيا معظم العاملين في هذه الشركات.

أفضل شبكة مواصلات:

كذلك فإن خطوط المواصلات إلى مركز لندن تعتبر أفضل وأسهل من جهة الغرب.. فمن الشرق تمتد الطرق وشبكات القطار أميالاً طويلة لكي تصب في النهاية في منطقة شرق لندن الفقيرة التي يتعين.. بعد الوصول إليها.. استخدام وسائل مواصلات أخرى مثل مترو الأنفاق للوصول إلى المركز. أما من الغرب فإن الطرق الرئيسية تكاد تصب مباشرة في منطقة نايتسبردج الراقية غربي لندن.

إذن كل تلك المميزات الجغرافية.. وسهولة وسائل المواصلات داخلياً في العاصمة.. وخارجياً إلى أى مكان في العالم هو الذي عززّ بشكل كبير تحول العاصمة البريطانية للمركز المخابراتى الأول على مستوى العالم.

وسنرى من خلال الصفحات القادمة أثر ذلك في تسيير عمليات تلك الأجهزة.

* * * * *

الفصل الأول:

لنـــدن.. بيـــن الإرهـــاب..

والتفرقة العنصرية!!

في يوليو 2005 وقعت سلسلة جرائم تفجيرات عنيفة.. هزت أرجاء مدينة الضباب.. التفجيرات.. بمجرد إذاعتها عبر شاشات الفضائيات ذكرت العالم أجمع بأحداث 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية.. وسريعاً ما بدأت التصريحات.. والتخمينات تتوالى لتربط بين " الإسلام ".. وكل ما هو إرهابي.. ثم ما لبث أن حدث تحول مخالف تماما لطبائع الأشياء.. وتحول برود المواطن الإنجليزي المعروف إزاء كل ما يتعرض له.. إلى رد فعل قاسي.. وعنيف.. لم يخل إطلاقاً هو الآخر من صبغة الإرهاب.. وكان رد فعلهم الإرهابي هذا موجهاً ضد كل ما هو إسلامي.. وعربي في مجتمعهم.

وفي إبريل 2005 صَدرَتَ صحيفة " الإندبندنت " صفحتها الأولى بصورة كبيرة لفتاة من أصل عربي تسمي " سهام قدورة ".. الفتاة كانت قد راحت ضحية إحدى تلك الجرائم.. ووضعت الصحيفة تحت صورتها مانشيت كبير يقول: "كبش فداء".. وجاءت عناوين التقرير الصحفي كالتالي:

"ارتفاع هائل في الاعتداءات العنصرية ضد كل الأقليات العرقية [1] في بريطانيا".

مسئول بارز بحزب المحافظين يقول للمسلمين:

"إن كنتم لا تحبون طريقتنا في الحياة.. فلترحلوا".

وفي الثامن من إبريل 2007 أعلنت شرطة لندن عن قتل فتى صغير لا يتعدى الرابعة عشرة من العمر.. وإصابة فتى آخر (15 عاما) بجروح خطرة وتم نقله إلي المستشفى في حالة حرجة.. كل من الضحيتين كانا من

(1) من تفاصيل الخبر نفسه.. كان المقصود بالتعميم في لفظ " الأقليات العرقية " هم المسلمون.

المسلمين.. ووقع الحادث في شارع ليتونستون بشمال شرق لندن.

وقتلت الشرطة البريطانية بطريق الخطأ.. وبالرصاص برازيلياً بريئاً يدعى جان شارل دي مينيسيز بعد أسابيع من التفجيرات الانتحارية التي وقعت في العاصمة البريطانية منذ عدة أعوام حيث تعرفوا على هويته خطأ على أنه أحد منفذي التفجيرات.. وقال "إنسان رحمن " المتحدث باسم أسرة تسكن في منزل مجاور كان قد تم احتجاز إثنين من افرادها.. ثم إطلاق سراحهم فيما بعد لوكالة أنباء (رويترز): إن الرجلين المعتقلين أخوان ومسلمان يعود أصلهما إلى بنجلاديش.. وقالت الشرطة. إنها لم تعثر على ما يثير الريبة خلال التفتيش الأولي للمنزل وأن الجيران ليسوا معرضين للخطر.

قبلها بفترة وجيزة لقيت فتاة تدعي " ايناس محمود " مصرعها كانت في العشرين من عمرها على يد عائلتها بطريقة وحشية لاقامتها علاقة مع شاب كردي.. وكتبت صحيفة التايمز البريطانية أن الشرطة فشلت في حماية الضحية بسبب عدم اهتمام مسئولي الشرطة بما أكدته لهم الفتاة قبل مصرعها.. والتي ذهبت إليهم أربع مرات لتعلمهم أنها معرضة للقتل على يد ذويها.. حتى إنها في إحدى المرات سلمت الشرطة قائمة بأسماء الذين يحاولون قتلها بناء على طلب والدها وعمها.

وتقول الصحيفة : إن الفتاة كانت قد تعرضت قبل مقتلها لمحاولة قتل مماثلة من ذويها واستطاعت الهرب من المنزل عبر النافذة.. بينما كان جسمها ووجهها مغطيين تماما بالدماء بعد أن قامت بتحطيم زجاج النافذة لتقفز من خلالها.. بعد استشعارها نية والدها فى قتلها بعد أن أجبرها على تناول الكحول حتي تفقد الوعي تمهيداً لخنقها.. وهربت الفتاة إلى مطعم قريب وتم استدعاء الشرطة التي حضرت لكنها تجاهلت أقوال الفتاة

وتركتها بادعاء أنها واقعة تحت تأثير الكحول وتريد لفت الانتباه.

وتشير الصحيفة إلى أن إيناس نقلت بعربة إسعاف إلى المستشفى حيث زارها هناك صديقها الكردي "رحمات سليماني" وصورها بواسطة هاتف محمول مزود بكاميرا وشاهدت المحكمة الفتاة تروي بالصوت والصورة ما حدث معها في المنزل وكان هذا الشريط المصور بواسطة كاميرا الهاتف دليلاً كافياً لإدانة الأب والعم بالمشاركة في قتل إيناس.

أما صحيفة الإندبندنت فتطرقت لذات الموضوع وقالت : إن القتلة الحقيقيين لإيناس موجودون الآن في العراق بعد قيامهم بقتل إيناس أثناء غياب والديها عن المنزل.. حيث دخلوا بالاتفاق مع الوالد والعم إلى المنزل وقاموا بقتلها.. ثم فروا إلى هناك بعد أن عثرت الشرطة على جثة الفتاة في حقيبة سفر مدفونة في حديقة أحد المنازل في مدينة برمنجهام.. على بعد مئات الكيلومترات من المنزل.. وكان رباط الحذاء الذي خنقوا به الفتاة ما يزال ملتفاً حول رقبتها.

فشل ذريع للبوليس البريطاني:

أما صحيفة الجارديان فنقلت عن ضابط كبير في الشرطة البريطانية أن الشرطة فشلت في حماية النساء اللواتي يتعرضن للقتل بسبب جرائم الشرف رغم صدور تعليمات لها حول كيفية التعامل مع مثل هذا القضايا منذ أربعة أعوام.

وتنقل الصحفية عن ضابط آخر قوله:

" لو أن فتاة بيضاء [1] أعلمت الشرطة عن وجود خطر على حياتها

(1) المقصود أنه لو كانت الفتاة بريطانية.. أو أوربية غير عنصرية لكان اهتمام السلطات.. وجهات التحقيق أكبر.

لكانت استجابة الشرطة مختلفة ولكان قد حدث استنفار في صفوفها".

وجاء هذا الحادث أيضاً بعد مقتل خمسة شبان مراهقين - مسلمين من غير البريطانيين - في المدينة خلال الشهرين الماضيين.. توفي ثلاثة منهم بالرصاص.. واثنان طعناً حتى الموت.. وأثارت سلسلة قتل المراهقين الصدمة والقلق في البلاد إزاء تصاعد العنف والعصابات بين الشباب البريطاني.

وبحسب تأكيد المسئولين الإنجليز فقد وقع هذا الحادث في نفس اليوم الذي قُتلت فيه امرأة حامل (22 عاما) في منزلها في جنوب لندن بسبب ما تعتقد الشرطة أنه خلاف على موقف سيارة.

دعوة المسلمات لعدم ارتداء الحجاب خوفاً على حياتهن:

ونقلت صحيفة الجارديان عن رئيس الكلية الإسلامية في لندن ورئيس مجلس المساجد والأئمة في بريطانيا.. قوله: " في هذا الموقف المتوتر ومع زيادة الاعتداءات على المسلمين.. ننصح المسلمات اللائى يخشين التعرض لاعتداءات جسدية.. أو إهانات لفظية بخلع الحجاب.. حتى لا يُعرفن من قبل هؤلاء المعادين للمسلمين".

وهو نفس ما دعا إليه أحد الدعاة الإسلاميين الموجودين في لندن.. ويدعى " زكي بدوي " الذى نصح المسلمات في بريطانيا إلى عدم ارتداء الحجاب لتجنب التعرض لاعتداءات بعد هجمات السابع من يوليو على لندن.

ورصدت الجارديان ردود فعل متباينة بين الجالية المسلمة في بريطانيا على هذه الفتاوى.. كما نقلت الصحيفة عن مجلس مسلمي بريطانيا.. قولهم: "ليس على المسلمات تغيير سلوكهن.. ولكن من يتحتم عليه تغيير نفسه هم البلطجية.. واليمين المتطرف الذي قد يستهدفهن".

واختتمت الجارديان بقولها : إن استطلاعاً للرأي أجرته الجريدة الأسبوع الماضي أظهر أن واحداً.. من كل خمسة مسلمين قالوا : إنهم أو أحد أعضاء أسرهم تعرضوا لاعتداء أو إهانة منذ أحداث 7 يوليو.

ونشرت الجارديان مقالاً لـ " كين لفنجستون " عمدة لندن تحدث فيه عما أسماه " ثلاث وسائل" لضمان الأمان في بريطانيا للجميع.. قائلاً : إن هذه الوسائل هي: دعم الشرطة.. معاملة المسلمين باحترام.. وانسحاب القوات البريطانية من العراق.

وأشار لفنجستون إلى أن حماية لندن من الإرهابيين يحتاج إلى عمل متقن لأجهزة الشرطة وهذا بدوره يحتاج إلى تدفق المعلومات من كل الجاليات.

وأضاف أنه يجب تخفيف بركة الاغتراب والعزلة التي تعاني منها الجاليات الأجنبية خاصةً المسلمين منهم والتي تعتبر زاداً للمفجرين.. وأن الطريق إلى ذلك هو معاملة جميع الجاليات في بريطانيا بالمساواة كجزء لا يتجزأ من المجتمع البريطاني.

وأشارت صحيفة " الإندبندت " إلى تقرير للشرطة يكشف عن ارتفاع جرائم الكراهية الدينية ضد غير البريطانيين إلى 600 بالمائة (أي ستة أضعاف) معدلاته فيما مضى.. وأرجعت الصحف هذا السعار الذي انتشر بين أوساط البريطانيين إلى " هجمات لندن ".. فما هي حكاية تفجيرات لندن؟.. وما علاقتها بالمسلمين هناك؟

الإسلام.. والمسلمون في لندن:

للأسف يبدو الإسلام اليوم بالنسبة لدول الغرب - بما فيهم بريطانيا - اما إرهاباً.. أو طائفية.. وباختصار.. فهو مشروع تخريب شامل.. قد يكون

في زعمهم بديلاً للشيوعية التي قضت عليها "الرأسمالية " وانهيار الاتحاد السوفييتي.. أي أنه يجمع بين الانتشار الذي يتعدى الأوطان.. ومجموعات قوية متجذرة في الدول الغربية والتي تحتل مواقع سفلى في السلم الاجتماعي.

إن هذه التفسيرات منبثقة مباشرة من عمل أجهزة الاستخبارات وتدابير أفرادها.. ويفسر نجاحها على مستوى المواقع المؤسساتية التي تشغلها في إطار تقسيم العمل السياسي.. وأيضا بسبب خطاب بعض الجماعات الدينية التي لديها مصلحة في عملية الاستقطاب التي تمنحها القوة والمصداقية التي تفتقدهما.

والأهم أن كل ذلك أصبح يشكل الآن الملامح العامة لخريطة الأوضاع الداخلية في لندن.. وهو استثناء اجتماعى متفرد.. فتكاد تكون لندن هى العاصمة الوحيدة على مستوى العالم الذى تأثر في أموره الداخلية - خاصة الإجتماعية - ما يعيشه العالم ككل من حركات مدّ.. وجزر سياسى بهذا الشكل.

* * * * *

الفصل الثاني:

حكاية تفجيرات لندن..

وعلاقتها بأجهزة المخابرات

البريطانية.. والعالمية!!

بسبب تفجيرات لنـدن.. لم تُعمر فرحة اللنـدنيين باستضـافة دورة الألعـاب الأوليمبية أكثر من عشرين سـاعة إذ أنهـم اسـتيقظوا علـى دوي الـتفجيرات الـتي هزت قطارات الأنفاق وحافلة للركاب راح ضحيتها أكثر من مائتى قتيل وسبعمائة جريح.. التفجيرات حدثت يوم 7 يوليو 2005.. وتزامنـت مـع بـدء قمـة الـدول الثماني الصناعية الكبرى في أسكتلندا.. والتي كان من المفترض أن تتصـدر جـدول أعمالها قضية شطب ديون الدول المعدمة.. ومكافحة الفقر فهل خطفت التفجيرات الأضواء من القمة وأعادت الاعتبار من جديد لشعار الـرئيس الأميركـي وحليفتـه بريطانيا لمحاربة الإرهاب؟.

المسلمون والقاعدة.. متهمون.. لماذا؟

وبعد وقوع تلك التفجيرات اتخذت مجموعة من الإجراءات الصـارمة وجهـت في المقام الأول لمسلمي بريطانيا.. واحتدم الجدل داخل المملكة المتحـدة عـن كيفيـة حدوث هذه التفجيرات ومن المتسبب فيها على وجه التحديد.. ويومها قال "روبن كوك " وزير الخارجية البريطاني العمالي[1] السابق:

(إن محاربة الإرهابيين في عقر دارهم[2] لم تحمِنا من الإرهاب في عقر دارنا).. وعقب حدوث هذه التفجيرات أعلن مسؤولون بريطانيون من بينهم وزير الخارجية جاك سترو.. ووزير الداخلية.. ومدير عام شرطة لنـدن " سـكوتلانديارد" أنهـم لا يستبعدون ضلوع تنظيم القاعدة فيما حدث.

في حين أن مجموعـة أطلقـت علـى نفسـها مسـمى " تنظـيم قاعـدة الجهـاد في أوروبا" ادعت مسؤوليتها عن الحادث.

وقال البعض: إنها محاولة لإجبار توني بلير على الانسحاب بقوات بلاده مـن

(1) استقال قبل هذا الحادث من منصبه بسبب الحرب على العراق.
(2) يقصد اشتراك بريطانيا في الحرب علي العراق.

العراق.. والتخلي عن تحالفه مع بوش.

فلماذا القاعدة؟

ولماذا لا يكون جهاز مخابرات لدولةٍ أخرى ما معادية لبريطانيا..

ووقتها ربط كثير من المحللين العرب والبريطانيين بين التفجيرات التي حدثت في لندن.. والحرب على العراق والوضع في الأراضي الفلسطينية.. بعبارة أخرى هناك أرض خصبة يستغلها منفذو تفجيرات لندن في محاولة ربما للضغط على حكومة بلير للخروج من العراق.

لماذا لندن؟

وتفجيرات لندن أعادت للأذهان قضية القصف الألماني النازي على بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية.. وكانت قد سبقته توقعات عدة تقول بأن احتمال ضرب لندن وارد جداً بعد مساهمة بريطانيا في غزو العراق.. وأن ما حدث هو ضربة في عرين الأسد البريطاني.. كما أن المفجرين الذين نشروا الموت والفوضى في كل مكان بشبكة النقل بلندن.. قد تمكنوا من الإفلات من أجهزة الرادار.. وكاميرات المراقبة الشرطية.. والمخابراتية التي تعمل طوال 24 ساعة.. في كل ميادين.. وشوارع لندن.

بالرغم أن بريطانيا العظمى هي أكثر دولة تؤمن بحقوق الإنسان.. وهي الدولة الأولى التي حولت الملكية لملكية دستورية.. وحدَّت من الصلاحيات الدستورية للملك عام 1215م أى منذ زمنٍ بعيد.

لندن ستان:

كما أن الأجهزة السرية في بريطانيا اعتادت أن تطلق على أجزاء من العاصمة لندن اسم "لندنستان" مماثلا لأفغانستان أو باكستان.. حيث تعيش مجموعات من

المطلوبين في بلادهم نزحوا وهربوا إلى بريطانيا في التسعينات من القرن الماضي لاتهامهم في قضايا أو صدرت ضدهم أحكام واجبة النفاذ.. وعددت المجلة مواطنين لدول منها مصر والسعودية وأفغانستان وباكستان وفلسطين ودول شمال أفريقيا.. أخذوا من الأراضي البريطانية ملاذاً آمناً.. بعد أن تدرب بعضهم في معسكرات أفغانستان[1].

وبالرغم من أنها البلد التي لجأ لها كارل ماركس هارباً من ألمانيا.. والغنوشي الداعية الإسلامي ومؤسس حزب النهضة التونسي.. والعديد من قيادات الحركة الإسلامية خاصةً من الإخوان المسلمين.. يعني كانت بريطانيا تحتضن المطاردين في بلادهم.. لكن ماذا حدث في هذا البلد حتى يخترق أمنها بهذا الشكل؟.. هل هي مسألة أمن داخلي فقط.. أم أنها ذات أبعاد خارجية؟

فإذا كانت مسألة أمن داخلي فسيكون المسئول الأول عنها أجهزة حماية الأمن الداخلي.. وهو ما يعتبر فشلاً ذريعاً خاصةً لأجهزة المخابرات البريطانية.

الجيش الجمهوري الأيرلندي:

ومثلاً عندما كان الجيش الجمهوري الأيرلندي يقوم بعمليات إرهابية في بريطانيا كان يصدر قبلها بياناً تحذيرياً.. يعني ما يمكننا تسميته بأنه تفجيرات حضارية.. وليست بهذا الشكل الوحشي كما وصفها رئيس الوزراء البريطاني "توني بلير" فيما بعد.. وعندما حاول الجيش الجمهوري الأيرلندي في بداية الثمانينات اغتيال مارجريت تاتشر.. بالإضافة إلى ضرب صواريخ على مقر رئيسة الحكومة وحي العمل وإلى آخره ولم تصدر الحكومة البريطانية وقتها.. أو تسن قوانين طوارئ.. لكن بعد الحادي عشر من سبتمبر سنت بريطانيا قوانين طوارئ جديدة.. واعتقلت سبعمائة مسلم.. استجوبت 117 منهم.. ثم أطلقت سراح

(1) بحسب ما ذكرته مجلة "فوكس" الألمانية في أحد أعدادها.

الجميع.. وسجنت 16 فرداً منهم دون محاكمة.. وهم الآن تحت الإقامة الجبرية بنص " قانون الجريمة والأمن ومحاربة الإرهاب".. الذي تم تعديله في ديسمبر 2001.. ليسمح للسلطات البريطانية باحتجاز أشخاص يُشتبه بأنهم إرهابيون دوليون لمدة غير محددة.. ودون أن تثبت التهم الموجهة لهم قضائيا.

حكاية الجيش الأيرلندي مع عاصمة الضباب:

من الوقائع التى لا ينساها المجتمع البريطانى أن قضت محكمة لندنية بسجن جاسوس مدى الحياة كان يكذب على زبائن بار يعمل فيه بأنهم أهداف للاغتيال من جانب الجيش الجمهوري الأيرلندي ويبتزهم بهذه الدعاوى الزائفة.. وحقق من وراء ذلك مبلغ مليون جنيه إسترليني.

فقد قضت محكمة "بلاكفراير" في لندن بسجن روبرت هيندي فريجارد (34 عاما) مدى الحياة.. لتورطه على مدى السنوات العشر الماضية بالزعم أنه جاسوس وكان يبتز زبائن الحانة التي كان يعمل فيها على اعتبار أنهم هدف للاغتيال من جانب الجيش الإيرلندي المحظور.

وقاتلت هذه الحركة السرية القوات البريطانية في إيرلندا الشمالية لثلاثين عاماً مطالبة بتحرير تلك المنطقة وإعادتها للوطن الأم في جمهورية إيرلندا.. ولكن في الأشهر الأخيرة وعبر مصالحات تمت في داخل إيرلندا الشمالية ومع الحكومة البريطانية.. أعلن الجيش السري تخليه عن العمل المسلح لينخرط من خلال جناحه السياسي حركة (شين فين) في عملية السلام.

ووصفت الشرطة البريطانية فريجارد الذي كان اعتقل في يونيو الماضي بتهمة الخطف والسرقة بـ(الشيطان).. وقالت الشرطة: إنه ابتز ثمانية من ضحاياه بمبالغ مالية كبيرة تجاوزت المليون جنيه.. حيث كان ينفقها على حياة الرفاهية التي يعيشها في مسكنه الفخم وسياراته الفارهة ورحلاته السياحية للخارج حيث كان يقضي

أيامه في فنادق من درجة النجوم الخمس.

وبعد أن ترك الحانة التي كان يعمل فيها في مدينة نيوبورت في مقاطعة ويلز.. فإن الجاسوس الشيطان الكذاب.. عمل في مكتب لترويج بيع السيارات.. وكان يبلغ زبائن الحانة بأنه عميل لجهاز الاستخبارات الداخلي (إم آي 5) وأنهم حسب معلوماته أهداف للاغتيال من جانب الجيش الإيرلندي المحظور.

من بين ضحايا الجاسوس (الشيطان) ستاً من النساء من بينهن محامية وطبيبة نفسانية أدى بها ابتزازه إلى الطلاق من زوجها وترك منزل الزوجية لتنام في العراء في حدائق المدينة وتعيش على التسول. وقال الطالب الجامعي جون أتكينز امام المحكمة التي نظرت القضية: إنه سلم مبالغ مالية تقدر بحوالي 300 ألف جنيه إسترليني لهنيندي فريجارد من ضحاياه الذين كان يبتزهم. وأدان قاضي المحكمة الجاسوس الكذاب بـ 24 تهمة أهمها الخطف والسرقة والابتزاز.

بين القاعدة وباقي الأحداث:

والرابط الوحيد بين ما حدث في لندن من تفجيرات.. وأحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة.. وجعلهم يشكون في أن تنظيم القاعدة وراء هذا الحادث أيضاً.. هو أن الحادثين استهدفا قطاع المواصلات.. خاصةً أن ربط القاعدة بمثل هذه التفجيرات يجعلنا نعود مرةً أخرى إلي تفجيرات مشابهة.. مثل تدمير المدمرة الأميركية " كول " عام 2001 في عدن.. ووقتها قيل: إن أبا حمزة المصري أرسل ولديه إلى اليمن للقيام بأعمال تخريبية على مثل هذه الشاكلة.. تفجيرات مترو الأنفاق أيضاً في مدريد في 11 مارس 2004.. التي أدت إلى مقتل أكثر من مائتي شخص.. وكان معظم المشتبه بهم في مدريد أجانب.. ولاسيما من المغرب.. وكانوا يعيشون في أسبانيا... والآن القطارات.. والباصات.. ومترو الأنفاق أيضاً في لندن.

اتهام متسرع:

لكن ما من شك في أن الاستعجال في توجيه الاتهام للقاعدة.. أو لأية جهة إسلامية قبل اكتمال التحقيقات هو من قبيل استعجال الأمور.. الذي يقود مسار التحقيقات السليمة للجانب الخطأ.. فلو كان تنظيم القاعدة هو الذي فعلها لكانت الضربة أكثر.. وأشد تأثيراً.. ولكانت قد حدثت مثلاً في توقيت مختلف مثل ساعة الذروة.. ما بين الساعة الثامنة.. إلى التاسعة مساء.. حتى تتسع قاعدة الضحايا لكن الحادثة وقعت بعد الساعة التاسعة.. ثم لماذا القاعدة تحديداً هي الجهة التي سارعوا.. وأشاروا إليها بأصابع الاتهام؟.. لماذا لا تكون " إسرائيل " مثلاً.. خاصة أن جهازها المخابراتي بني أساساً علي مثل هذه الجرائم التخريبية.. وهي سياستهم المعروفة دوماً عنهم.. مع الصديق.. قبل العدو؟.. كما أن تنفيذ الحادث بهذا الشكل يتطلب معرفة جيدة بالأماكن المحلية التي تم رصدها.. واستهدافها.. وهذا شيء لا يستطيع أن يقوم به شخص وصل من الخارج إلا بعد مرور فترة طويلة على إقامته هناك.. ومن الواضح أنه هجوم رتب له أشخاص في الموقع منذ بعض الوقت.

كما أن التحقيقات الأولية التي أجرتها الشرطة البريطانية بعد شهر واحد من وقوع تلك التفجيرات كشفت أنها غير مرتبطة بشكل مادي بأي شبكات خارجية بما فيها تنظيم القاعدة.. حيث ذكر مصدر في جهاز مكافحة الإرهاب بالشرطة البريطانية[1] أن التحقيقات المتعلقة بمنفذي الاعتداءات لم تتوصل عملياً إلى أي دليل على وجود عقل مدبر قد يكون خطط للهجمات ولا إلى تورط تنظيم القاعدة.

المخابرات البريطانية تقبض علي جيمس بوند (القاعدة) الجديد:

وفي أول قضية في نوعها ببريطانيا.. قضت محكمة لندنية بالسجن 10 أعوام على خبير كومبيوتر ينتمي إلى (القاعدة).. يطلق على نفسه (المجاهد جيمس بوند).. لإدانته باستخدام شبكة الإنترنت (في التحريض على الإرهاب) وعرض شرائط

(1) جاء ذلك بصحيفة 'إندبندنت' البريطانية يوم 13 أغسطس 2005.

فيديو لعمليات قتل أميركيين في العراق.. كما حكم على اثنين من رفاقه هما البريطاني وسيم مجال.. بالسجن 7 أعوام ونصف العام والإماراتي المولد طارق الداعور 6 أعوام ونصف العام.

وقال المدعون في المحكمة: إن المغربي المولد يونس تسولي (23) عاما.. يستخدم لقب (إرهابي 007) كاسم مستخدم عبر الإنترنت.. في إشارة إلى الرقم الرمزي لجيمس بوند ضابط المخابرات البريطاني في سلسلة الأفلام البوليسية الشهيرة.

ونقلت وكالة أسوشييتدبرس عن المدعين قولهم وقتها إن تسولي بالتعاون مع رفيقيه قاموا بوضع ارشادات على مواقع في الإنترنت لكيفية صنع وتركيب أحزمة ناسفة واستخدام قذائف (أر. بي. جى) وتحضير السموم.. وتفجير أنابيب الغاز.. بالإضافة إلى إرشادات بشأن (كيف تكون إرهابياً؟). وقالت الشرطة أن ثلاثة رجال يقال أن لهم علاقة بتنظيم (القاعدة) اعترفوا بأنهم استخدموا الإنترنت في التحريض على الإرهاب في أول قضية في نوعها ببريطانيا.

وحسب وكالة الصحافة الفرنسية.. فإن الداعور 21 عاما.. اعترف بتورطه في الحض على ارتكاب عمل إرهابي جزئيا أو كليا خارج بريطانيا.. والذي لو ارتكب في إنجلترا أو في ويلز لاعتبر جريمة قتل.

أما تسولي ومجال فاعترفا بعدها بكونهما مذنبين في الجرم عينه.. كما أقر المتهمون الثلاثة بذنبهم في محاولة الاحتيال على مصارف وشركات بطاقات ائتمان.

وبحسب نصوص الإدعاء.. فإن الشبان الثلاثة أقاموا علاقات وثيقة مع الجناح العراقي لتنظيم (القاعدة) وهم يؤمنون بوجود (مؤامرة عالمية) للقضاء على الإسلام وقضوا ما لا يقل عن عام في الترويج عبر مواقع الإنترنت لمعتقداتهم.

ونسبت وكالة رويترز إلى مصدر في الشرطة قوله: إن الرجال انشأوا مواقع على الإنترنت باستخدام بطاقات ائتمان وهويات مسروقة للترويج لأفكار

(القاعدة).. وفي جانب آخر فريد في القضية.. قال محققون من الشرطة: إن تسولي والداعور لم يلتقيا قط وكانا يتواصلان عبر الإنترنت.

كما أدانت محكمة بريطانية أمس رجلاً.. وصفته الشرطة بأنه (عضو نائم) يعد لهجمات إرهابية حيث أشارت مواد كومبيوتر من (القاعدة) كانت بحوزته إلى هجمات على ملاهٍ ليلية ومطارات.. وأدانت محكمة مانشستر كراون كورت عمر التميمي.. (37) عاما.. من بولتون شمال إنجلترا بحيازة مواد بغرض الإرهاب إضافة إلى اتهامين يتعلقان بغسل الأموال.

ووصف رئيس وحدة مكافحة الإرهاب التابعة لشرطة مانشستر.. التميمي بأنه (نائم) يبقى في الظل وينتظر ويستعد للعمل.. وأضاف: لا نعرف قط بالتحديد ما الذي كان يعده التميمي لكن من الواضح أنه كان لديه الدعم والعلاقات مع إرهابيين في أنحاء العالم.

وقالت شرطة مانشستر أنها عثرت على مجموعة من المواد الإرهابية على كمبيوتر التميمي وكثير منها تم تحميله من موقع سري للقاعدة على الإنترنت وبين الوثائق خطط صنع قنابل وقائمة بأهداف محتملة مثل ملاه ليلية ومطارات رغم أنه لا يوجد ما يشير إلى صلة التميمي بالهجمات التي أحبطت على ملهى ليلي في لندن ومطار في اسكوتلندا قبل أيام.

تقرير أمني يحذر من التفجيرات:

والمفاجأة تقرير أمني أوروبي صدر عام 2003 متزامناً مع ذكرى 11 سبتمبر.. حذَّر من عمليات إرهابية في عديد من دول العالم تستهدف أهدافاً جديدة مثل التجمعات السكانية الكبيرة.. والقطارات الدولية في أوروبا ووسائل النقل العام. ولم يتم التنسيق أو أخذ ذلك التحذير على محمل الجد وتلاحقت العمليات في نهاية 2003 ثم 2004 و2005 وجميعها على أهداف من بين ما أشار لها ذلك التقرير.

تنظيم قاعدة الجهاد في أوروبا :

تبنت الحادث مجموعة تطلق على نفسها تنظيم" قاعدة الجهاد في أوروبا " قيل: إنه جماعة راديكالية أسلامية من أصل مغربي.. تعمل كوحدة معتمدة على ذاتها وليست جزءاً من شبكة قد تشمل أوروبا كلها.. ووصفت تلك الجماعة تفجيرات لندن بأنه " الغزوة العسكرية المباركة في بريطانيا ".

وبيان إعلانهم مسئولية الحادث جاء على عجالة.. وعموماً هذه ليست طريقة تنظيم القاعدة عندما يتبنى مثل هذه الحوادث.. حيث تصدر بياناتهم عادةً من المسئولين الأساسيين فى القاعدة.. كما أنه ما من شك أن التحضير لمثل هذه العملية لابد وأن يستغرق شهوراً.. أما مثل هذه البيانات التي نشرتها وكالة أنباء إيطالية لا يعرف أحدٌ من أين أتت بها فيحيطه شكوكٌ كثيرة.. وسبق لها أن تبنت نفس الجماعة قبلها بعام واحد اغتيال الهولندي فان جوخ مخرج فيلم " التوبة.. أو الخلاص".

لماذا يتهمون المسلمين؟

يعني لا جدال أن دعاة الجهاد الإسلامي بطريقة ما أو بأخرى ساهموا في ذلك.. عن طريق خطب التحريض.. أو دعوتهم للتطوع للقتال في أفغانستان والعراق وفلسطين أيضاً.. يعني لابد أن هذه المنظمات المتشددة.. أوهؤلاء الأفراد شوهوا صورة المسلمين في بريطانيا.. مثلما هو الحال في كل دول الغرب.. وبناء عليه أصبح كل شخص مسلم.. سواء ملتحي.. أوغير ملتحي.. محجبة.. أو غير محجبة.. موضعاً للشك من قبل المواطنين البريطانيين.. وكذلك من قوات الأمن البريطانية.. وهو ما يعد تقييداً.. وإجحافاً شديداً لحقوق ملايين المسلمين يعيشون فى بريطانيا.

أوليمبياد 2012:

البعض رأى أن حصول بريطانيا على حق تنظيم (أولمبياد 2012).. والذي أعلن عنه قبل 24 ساعة فقط من حدوث هذه التفجيرات كان هو السبب.. وهو طرح ساذج.. لأنه - وكما قلنا من قبل - حدث بمثل هذه القوة.. وبمثل هذا التأثير لابد وأن يتم التخطيط له على مدار شهور.. ولا يأتي هكذا بين عشيةٍ.. وضحاها.

وقيل: إن التحضير لقمة الدول الصناعية الثماني الكبرى.. التي وضعت أربع صفحات كاملة عن قضية الإرهاب ضمن أجندتها الأساسية.. بجانب قضايا أخرى ذات أهمية إقليمية مثل الفقر في دول العالم الثالث.. ومساعدة الدول المعدمة في أفريقيا.. كان بمثابة رد عملي.. ومبشر من تلك المنظمات الإرهابية.. وبمثابة إعلان عن التواجد.. فعندما انعقدت قمة الدول الثماني الصناعية الكبرى في اسكتلندا.. وبعد ساعات من بدء زعماء مجموعة الثماني اجتماعهم الأول مباشرة.. كانت أنوف أكبر ثمانية دول في العالم في الرغام وهذا انتصار في ضرب مفاصل الاقتصاد الإنجليزي.. كان هناك 50 شخصاً على الأقل قتلوا نتيجة وقوع انفجارات في ثلاثة قطارات أنفاق.. وحافلة.. بالإضافة إلي مئات الجرحي.. وتدمير.. وخراب بالملايين.. وما أسفرت عنه باقى الأيام من زيادة عدد الضحايا.

أين المخابرات البريطانية؟

وعلى النقيض من ذلك.. بدأت أقلام بريطانية توجه أصابع الاتهام إلى مسئولين بريطانيين يحتلون مناصب قيادية عليا بالمخابرات البريطانية (M. I .6).. إن لم يكن بالاشتراك الفعلي في تنفيذ هذه التفجيرات.. فبالمشاركة السلبية عبر الصمت وتسهيل مهمة منفذي التفجيرات.. لأن تلك الأقلام كانت تلمح بطريقةٍ.. أو بأخرى لتواطؤ ما بين بعض مسئولي المخابرات البريطانية.. ومن وراء تلك

التفجيرات.. ولا شك أن مثل هذه التلميحات لاتأتي هكذا اعتباطاً.. فلا بد من وجود دلائل ما وراءها.. بعضها صرح دون مواربة بوجود علاقة وثيقة بشخص يدعى هارون راشد أسود "الزامبي الأصل" والذي يحمل الجنسية البريطانية.. قيل بأنه المسئول الأول عن تجنيد منفذي التفجيرات.. وبعض المسئولين.

جدل بريطاني:

وبعيداً عن هذه الكتابات التي ربما لا تستطيع أن تقدم دليلاً أكيداً على تخميناتها تلك.. يبدو من الضروري الاستناد إلى ما تم تداوله وقتها داخل بريطانيا وخارجها أيضا حول تلك التفجيرات.. وما أصبح يحيط بها من شكوك عدة قد ترجح كفة أصحاب هذا التفسير السابق.. ويمكن تلخيصه في بعض النقاط التالية:

أولاً – يرى بعض الكتاب البريطانيين أن كل الأدلة التي تظهر تباعا حول تفجيرات 7 يوليو تؤكد نتيجة واضحة هي أن بعض المسئولين بالمخابرات البريطانية لهم علاقة بشكل أو بآخر بهذه التفجيرات.. ويستندون في ذلك على شهادة العديد من الأشخاص الذين تواجدوا في محطات القطار أثناء التفجيرات.. فهم يؤكدون أنهم لم يروا الأشخاص الأربعة ذوي البشرة السمراء الذين يحملون حقائب قيل إن بها قنابل كما رصدتهم كاميرات المراقبة.. بل يؤكد بعضهم أن هذه القنابل كانت موضوعة تحت قضبان قطار المترو. وعلى سبيل المثال.. يذكر أحد شهود العيان ويدعى " بروس لات " لصحيفة (Cambridge Evening News) الذي نجا من تفجيرات محطة "الدجات" أنه قد سمع شرطياً يقول للآخر: "تذكر المكان حيث توجد القنبلة".. وأنه قد نظر صوب هذا المكان فلم يجد أي شخص قريب منه أو أي حقيبة متروكة.. لكنه رأى شريط القطار بدا مشدوداً لأعلى كأن شيئاً قد وضع أسفله.. ويروي شاهد آخر لصحيفة "الجارديان" اندهاشه من سقوط سقف عربة القطار وكيف يمكن لقنبلة أن تحدث ذلك الأثر ما لم تكن

موضوعة بدقة فوق سطح العربة.

ثانياً – يثور الجدل أيضا حول قيام قوات الأمن بإجراء تدريبات صباح يوم التفجيرات بالاشتراك مع إحدى شركات إدارة الأزمات.. والتي كانت تقوم بوضع أجهزة تفجير وهمية لغرض التدريب على مثل هذه الأحداث.. فقد أكد "بيتر باور" مدير هذه الشركة والمسئول السابق بجهاز الشرطة البريطاني "إسكوتلاند يارد" لإذاعة بي بي سي مساء يوم 7 يوليو أن نحو 1000 فرد كانوا يمارسون تدريبات لمواجهة احتمالية حدوث انفجارات تحت الأرض في نفس الأماكن التي حدثت بها التفجيرات.. إلا أنها قد تحولت من تدريب إلى واقع حي.

هل هي مصادفة :

هنا يثور التساؤل: هل كان مصادفة أن يتم حشد هذه المجموعة من رجال الأمن الخاص المدربين في نفس الأماكن وفي نفس توقيت حدوث التفجيرات؟.

تحذير للسفارة الإسرائيلية :

كما نقلت وكالة "أسوشيتدبرس" يوم وقوع تفجيرات 7 يوليو أن السفارة الإسرائيلية تلقت قبل دقائق من وقوع التفجيرات تحذيرات من الشرطة البريطانية - إثر تلقي الأخيرة هذه التحذيرات من المخابرات البريطانية - بإمكانية وقوع تفجيرات وشيكة بالقرب من مكان سيعقد فيه وزير المالية الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو"[1] اجتماعاً اقتصادياً.. مما اضطر السفارة إلى رفع درجة التأهب القصوى ومنع كل الموجودين بها من الخروج في هذا اليوم.. وهذا الأمر برمته قد أكدته إذاعة الجيش الإسرائيلي عقب ساعات من وقوع التفجيرات.

كيف عرف الموساد؟

(1) هو نفسه رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق.

.. ويبدو أن السفارة الإسرائيلية في لندن قد تلقت إخطارا بتوقع حدوث هجوم بقنابل قبل قليل من وقوع أول تفجير في محطات المترو .. وكانت البرقية الإخبارية صادرة من القدس.. ونصها نقلاً عن مصدر إسرائيلي رفيع المستوى "إن البوليس البريطاني أبلغ السفارة الإسرائيلية في لندن وقبل دقائق من حدوث الانفجارات بأن أجهزة البوليس تلقت تحذيرات باحتمال وقوع هجمات إرهابية في مدينة لندن".

وتضيف البرقية نقلاً عن مسئول حكومي: "إن وزير المالية الإسرائيلي بنيامين نتانياهو كان يستعد لحضور مؤتمر اقتصادي في فندق يطل على واحد من المواقع التي تعرضت للتفجير.. وقد اضطر نتانياهو إلى البقاء في الغرفة التي يقيم فيها بالفندق". وقبل قليل من حدوث الانفجار - تقول البرقية نقلاً عن المسئول الحكومي في القدس - "إن شرطة سكوتلانديارد البريطانية أجرت اتصالا مع ضابط الأمن في السفارة لتبلغه عن تلقيها معلومات عن قرب حدوث هجوم محتمل". على أن وكالة الأنباء عادت وسحبت التقرير الذي بثته.. إثر نفي من مسئولين في القدس ولندن.. وبثت بدلاً منه برقية بعنوان "لم يتم تحذير إسرائيل عن هجمات لندن".

* * * * *

والموساد يتهم: لندن تحولت إلى عاصمة لـ (الإسلام الراديكالى المتطرف):

وعلى ذكر الموساد.. والمخابرات البريطانية فقد نشر مركز معلومات المخابرات والإرهاب التابع للمخابرات الإسرائيلية عبر موقعه على شبكة الإنترنت - ويستخدم كقاعدة بيانات ومعلومات عن الحركات الإسلامية في العالم - دراسة خاصة عن تحول لندن إلى ما اعتبره عاصمة للإسلام الراديكالي المتطرف.

وجاءت الدراسة التي أعدها خبراء شئون الحركات الإسلامية في مركز

معلومات المخابرات والإرهاب المعروف اختصاراً باسم (ملم) حول تزايد نشاط الحركات الإسلامية في لندن.

وتركزت الدراسة في متابعة النشاط الإعلامي للحركات الإسلامية.. معتبرة أن لندن باتت تشكل مركزاً إعلامياً لـ (الإسلام المتطرف) لبث دعاية الكراهية ضد الولايات المتحدة و(إسرائيل) على حدّ زعم معدي التقرير.

مجلة " الرسالة" الإخوانية.. تروج للإسلام الراديكالي:

تقول الدراسة إن مجلة " الرسالة " الأسبوعية التي تصدر في لندن منذ عدة سنوات عن حركة الإخوان المسلمين.. والمعروفة باسم(رسالة الإخوان).. تستخدم في نقل المفاهيم والدراسات الإسلامية الراديكالية وتكون مشبعة بأفكار وعقائد الإخوان المسلمين.. كما أنها تعطي مساحة لوجهات نظر الجماعات الإسلامية المتطرفة في أنحاء العالم خاصة حركة حماس وهي الفرع الفلسطيني للإخوان المسلمين.. وذلك من خلال لهجة تتسم بالعنف لا تختلف عن اللهجة التي يستخدمها تنظيم القاعدة.

ويتم توزيع المجلة في أنحاء العالمين العربي والإسلامي.. كما توزع في مناطق السلطة الفلسطينية.. وتتلقي النشرة توجيهاتها وأوامرها من قيادة حركة الإخوان المسلمين في مصر.. وهي الدولة التي تسيطر على التنظيم الدولي للإخوان المسلمين.

وتقول الدراسة الإسرائيلية: إن قيادة الإخوان تستغل حرية الصحافة في بريطانيا في نشر أفكارها وعقائدها وذلك في محاولة منها للهروب من القيود المفروضة عليها من قبل نظام الحكم في مصر.

الموساد يربط بين فكر تنظيمي " القاعدة ".. والإخوان المسلمين:

وقام خبراء المركز بتحليل بعض ما تنشره أسبوعية رسالة الإخوان للوقوف على أفكار الجماعة ومحاولة الربط بينها وبين أفكار تنظيم القاعدة وذلك من أجل إلصاق تهمة الإرهاب بها باعتبار أن حركة الإخوان المسلمين هي الحركة الأم لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).

لندن مركز لنشر فكر الإخوان:

وتعتبر الدراسة أن لندن باتت الآن تشكل مركزاً لنشر ما تسميه (الأيديولوجية الإسلامية المتطرفة) حيث تنتشر فيها الأفكار الإسلامية ومنها توزع في أنحاء العالم الاسلامي والعربي بما فيها الأراضي الفلسطينية.

ونوه خبراء المركز إلى أن الجيش الإسرائيلي عثر على مجلات ونشرات إسلامية متطرفة تصدر في لندن خلال مداهمته للعديد من المنازل في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وقالت الدراسة: إن اختيار حركة الإخوان المسلمين للعاصمة البريطانية لندن لنشر أفكارها جاء في محاولة منها لاستغلال حرية الصحافة هناك للالتفاف على الحظر المفروض عليها في مصر حيث يرى النظام المصري فيها خطراً وتهديداً مركزياً على استقرار النظام الحاكم هناك.

مؤسسة "سترافور":

غير أن مؤسسة "سترافور" وهي واحدة من المؤسسات الخاصة التي تعمل في أمور المخابرات وتضم في قوائم العاملين فيها عملاء سابقين للمخابرات الأميركية.. بثت تقريرا نفت فيه صحة المعلومات التي تضمنها تقرير أسوشيتدبرس.. مقررة أن إسرائيل هي التي قامت بالتحذير المبكر لبريطانيا عن هجوم في لندن.. وتضمن تقرير لتلك المؤسسة الأميركية ما يلي: (على النقيض مما نقلته وكالة أسوشيتدبرس.. من الادعاء بأنه تم تحذير إسرائيل "قبل دقائق من

التفجير الأول".. فإن شائعات غير مؤكدة تتداولها أوساط المخابرات تشير إلى أن الحكومة الإسرائيلية هي التي قامت بتحذير لندن من الهجمات "قبل يومين من وقوعها". ولقد سبق لإسرائيل أن قامت بتحذير بريطانيا من هجمات محتملة تبين لاحقاً أنها لم تحدث.. ولقد حرصت الحكومة البريطانية على عدم تعكير صفو اجتماع قمة الثمانية في سكوتلاندا.. أو أن تلغي زيارات مسؤولين للندن.. مؤملة أن يكون التحذير كما كان في السابق "تحذيراً كاذباً".

تكتم حكومي بريطاني:

ويضيف تقرير "سترافور" الذي بثته في موقعها على الإنترنت "إن الحكومة البريطانية تكتمت على تلك المعلومات لعدة أيام وفشلت في القيام برد فعل للتعامل معها.. لذلك فإن الحكومة الإسرائيلية تقوم بالتصرف وحدها وعلانية.. ومن المؤكد أن الهدف من ذلك أن تمارس ضغطاً على بلير في القريب العاجل بسبب فشله في منع ذلك الهجوم الإرهابي الكبير".

أسئلة بلا إجابة:

ثم لماذا ذكر خبراء المتفجرات أولاً أن المتفجرات المستخدمة تسليحية المصدر.. ثم عادوا فأكدوا فيما بعد أنها محلية الصنع.. دون تقديم دليل على هذا.. أو ذاك.

ولماذا تعطلت الكاميرات التي ترصد الأتوبيس المستهدف في هذا اليوم في تافيستوك[1] ؟ ولماذا غيّر الأتوبيس اتجاهه العادي الذي يسير فيه يومياً؟ ولماذا لم يسلك 30 أتوبيساً آخرين نفس الطريق.. مع أنه ضمن خط سيرهم الطبيعي؟

أكد عمال محطة أتوبيس "ستادج كوش" الذين تعجبوا من قيام مجموعة غير معروفة لديهم من المهندسين باختبار الكاميرات قبل أيام من التفجيرات.. وأنهم نفذوا مهمتهم

(1) أحد الحافلات التي تم استهدافها في تلك التفجيرات.

في يومين مع أن العاملين قد اعتادوا ألا يستغرق هذا العمل أكثر من ساعات قليلة؟.

لماذا غيّرت الشرطة ما ذكرته عن ملابس البرازيلي "جون شارلز مينزيس" الذي قتل في محطة مترو "ستوكويل"؟ ولماذا تذكر تقارير وسائل الإعلام أن "مينزيس" قد أطلق عليه النار في منطقة البطن ثم تغير القصة لتشير إلى أنه من الغباء أن يتم ضرب مشتبه يحمل متفجرات في هذا الجزء من الجسم الذي من المحتمل أن تكون المتفجرات به؟ هل "مينزيس" وهو مهندس كهرباء اكتشف شيئاً عن حقيقة التدريبات التي كانت تجري وقت التفجيرات؟.

لماذا قرر المسئول عن الاحتياطي الفيدرالي البريطاني "آلن جرينسبان" ضخ ما يقرب من 40 بليون جنيه إسترليني إلى أسواق المال قبل يومين فقط من حدوث الهجمات؟ وإذا كان لديه معلومات عن التفجيرات.. فلماذا لم يتم تحذير رواد الأتوبيس والقطارات من إمكانية حدوث التفجيرات؟.

لماذا رفض "توني بلير" على الفور إجراء "تحقيق علني عام" حول أسباب وكيفية حدوث هذه التفجيرات.. مع أن هذا الإجراء يتم في بريطانيا عند كل حادثة حتى لو كانت صغيرة؟.

والسؤال الآن:

لماذا تتلكأ المخابرات في تقديم ما لديها من معلومات كاملة لأجهزة الأمن حول هذه التفجيرات؟ ولماذا تحديداً يتم إخبار السفارة الإسرائيلية قبل تحرك المسئولين الإسرائيليين لحضور اجتماعهم الاقتصادي مع مسئولين بريطانيين؟.

هل تورطت المخابرات البريطانية في الحادث؟

ونعود للشخص اللغز الذي وصف بأنه العقل المدبر لتلك التفجيرات.. وهو "هارون راشد أسود" وعلاقته بالمخابرات البريطانية.. حيث قيل: إن المخابرات

البريطانية استقدمت "هارون أسود" إلى لندن واستخدمته بعد أن كان يجـري البحـث عنه في زامبيا.. ومطلوباً هناك [1].. وأنه التقى بثلاثة من المشبوهين قبل أسبوع واحـد من حدوث تلك التفجيرات.. وأن سجل الهواتف النقالة الموجود لـدى المخـابرات يدل على أنه تحدث قبل ثلاثـة أسـابيع مـع هـؤلاء المشـبوهين عشـرين مـرة.. وأن المخابرات البريطانية كانت على علم تـام بجميـع هـذه المكالمـات وبمضـامينها.. أي كانت على علم بنية هؤلاء.

اجتماع طارئ لوزراء الداخلية الأوربيين:

وفي الاجتماع الطارئ الذي عقده وزراء الداخليـة الأوربيـون يـوم 13 يوليـو 2005 لم يسـلم مـن كشـف الانقسـام أو الفجـوة في التعـاون الأمـني بـين فرنسـا وبريطانيا.. عندما فجر الوزير الفرنسي نيكولا ساراكوزي اتهاماً للأجهزة البريطانية بأنها سبق وأن ألقت القبض عقب 11 سبتمبر على أعضـاء في الخليـة الـتي نفـذت اعتداءات لندن وأفرجت عنهم لاحقاً.. وهو ما أدى إلى استثارة الـوزير البريطـاني واضطر للرد نافياً تلك المزاعم والتي عكست عمق الخـلاف بـين البلـدين لـيس في موضوع التنسيق الأمني فقط بل على كل المستويات.

المخابرات البريطانية.. ومنظمة المهاجريون الإرهابية:

كما تم التوصل إلـي أن "هـارون أسـود" يعمـل في منظمـة "المهـاجرون".. وأن المخابرات البريطانية أنشأت علاقات مع العديد من المهـاجرين العـرب والمسـلمين الذين حصلوا على الجنسية البريطانية ويعملون في هـذه "المنظمـة الإرهابيـة".. [2] كما ذكر أحد الأئمة المسلمين في لقاءات قامت بها الصحف البريطانية عـام 2001

---

(1) بحسب ما أشارت إليه كل من قناة فوكس نيوز Fox News وجريـدة Newsنيـوز ريبابليـك Republic الأمريكيتين.

(2) بحسب ما أكده "جون لوفتوز" الخبير في شئون المخابرات والمدعي العام السابق في وزارة العدل الأمريكيـة في حوار أجرته معه قناة Fox News في 29 يوليو 2005.. أي بعد التفجيرات بأيام قلائل.

أن علاقة المنظمة مع المخابرات البريطانية (M. I. 6) بدأت منذ عـام 1995 أثنـاء حروب البوسنة وكوسوفا.

"هارون أسود" عميل مزدوج:

وبينما كان يزود "هارون أسود" المخابرات البريطانية والأمريكية بمعلومات عن تنظيم القاعدة.. كان في الوقت نفسه يشارك في عمليات القاعدة [1].

اتهام خارجي للمخابرات البريطانية:

وقـد وجهـت المخـابرات المركزيـة الأمريكيـة CIA وكـذلك المخـابرات الإسـرائيلية (الموسـاد) اتهامـاً للمخـابرات البريطانيـة لأنهـا سمحـت للمجموعـات الإرهابيـة الـتي لها علاقـة بتنظـيم القاعـدة بـالعيش في بريطانيـا مـن أجـل اسـتمرار تـدفق المعلومـات والأخبـار إليها مـن هـذه المجموعـات.. ولـذلك أخفـت المخـابرات البريطانيـة "هـارون" في مكـان آمـن في جنـوب إفريقيا وأذاعـت خـبر موتـه في نفـس الوقـت الـذي كانـت تبحـث عنـه الشـرطة البريطانية والمخابرات الأمريكية.

"هارون" عميل هام للمخابرات البريطانية:

كما إنه.. وقبل أسبوعين فقط من تفجيرات لندن حضر "هارون" إلى لندن بكل حرية وكأنه في نزهة.. ثم غادرها قبل يوم واحد من الـتفجيرات.. ولم يـتم القـبض عليه في مطار لندن لا عند دخولـه أو مغادرته البلاد.. والغريب أن "هارون" لم يكن مسجلاً في قائمة الإرهابيين.. ثـم سـجل فيهـا فيمـا بعـد.. لأنـه كـان مـن عمـلاء المخابرات البريطانية الجيدين بحيث كان من الصعب عليها التفريط فيه أو الاستغناء عن خدماته بسهولة.

---

(1) المصدر السابق.

باكستان وزامبيا تطلقان سراح هارون.. وأمريكا تعتقله :

كما قام هارون بالسفر جواً إلى باكستان قبل يوم واحد من التفجيرات ولكن السلطات الباكستانية ألقت القبض عليه وسجنته لأنه كان معروفاً عندها كإرهابي.. فكيف لم يكن معروفا لدى المخابرات البريطانية؟ والعجيب أن باكستان قامت بإطلاق سراحه بعد يوم واحد فقط من اعتقاله.. والظاهر أن طلباً جاءها من المخابرات البريطانية بإطلاق سراحه وعدم التعرض له.. ثم سافر هذا العميل من باكستان إلى جنوب إفريقيا وذهب منها إلى زامبيا حيث تم القبض عليه هناك.. وسلم إلى السلطات الأمريكية التي تستجوبه الآن.. وتحاول فهم ظروف عملية تفجيرات لندن والظروف التي أحاطت بها والأشخاص الذين تورطوا فيها والأصابع الخفية الموجودة وراءها.

والإجابة :

لأنه – وكما نعتقد نحن – ببساطة شديدة المخابرات البريطانية هي من كان وراء كل ذلك.. ونفذت هذه التفجيرات.. إما بالتنفيذ وهذا احتمال ضعيف.. أو بالتواطؤ.. لمصلحةٍ ما.. والمصلحة بالطبع لن تعدو كونها فقط محاولة لتشويه صورة مسلمي أوربا.. والعمل على تقليم أظافرهم.. ونبذ حقوقهم.. أو إجبارهم علي الرحيل عن أوربا.. لكن لابد أن للأمر أبعاد أخرى كما تبرز أيضاً حقيقة التشابك في علاقات كل من المخابرات الأمريكية.. والبريطانية.. والإسرائيلية.. وتحالفهم المشبوه معاً ضد العالم الإسلامي.

حكاية أبى عيسى الهندي :

ومما يؤكد وجود ذلك الخلل في أجهزة الأمن الأوربية محتوى تقرير كشف عنه فى حينه في ألمانيا تضمن أن المحققين في بريطانيا عثروا قبل فترة على تفاصيل خطة

عملية إرهابية هدفها لندن.. كانت ضمن ملف في كمبيوتر لأحد المتشددين البريطانيين يدعى " أبو عيسى الهندي " وهو من أصل آسيوي له علاقة وثيقة بالقيادات العليا لتنظيم أسامة بن لادن.. وسيرة حياته تشير إلى أنه في سن العشرين ترك الديانة الهندوسية واعتنق الإسلام.. وبدأ في تلقي دروس التشدد على يد الخطباء الذين يمارسون نشاطهم في مساجد لندن.. وبعدها انتقل إلى مدينة كشمير في باكستان ثم إلى أفغانستان ليحارب هناك.. وعندما عاد إلى بريطانيا اعتقلته أجهزة الأمن العام الماضي .

وكان من السيناريوهات التي تضمنتها تلك الخطة أن الأهداف المحتملة لشن هجوم إرهابي على عدة مباني ضخمة بعد تحديد مراكز الضعف في أبنيتها. وكان تقدير المحققين البريطانيين أن العملية "خيالية" ومستحيل تنفيذها لحاجتها إلى التمكن من تقنيات عالية.

سيناريوهات دقيقة :

وأخيراً اتضح أن سيناريوهات الخطة التي عثر عليها في كمبيوتر الهندي تتطابق مع العملية الإرهابية التي تعرضت لها قطارات الأنفاق والباص في لندن يوم 7 يوليو.

* * * * *

الفصل الثالث:

هنا لندن.. مركز تجمع أجهزة المخابرات العالمية!!

تلعب مكاتب أجهزة المخابرات العالمية المتواجدة في بريطانيا دوراً مركزياً في ضبط العنف السياسي علي مستوى العالم.. وتتعاون جميعها في ذلك باتفاقات.. وبروتكولات خاصة فيما بينها.. وبما تقوم به من عمليّات تقصّي وتحديد مواقع ومراقبة.. تؤمّن للسلطات معلومات تسمح لها باستباق ظهور الأزمات وتفاقمها.. وبالإطّلاع على استراتيجيّات الآخرين.

لكنّ هذه المكاتب.. وما تمثله من أجهزة لا يقتصر دورها فقط على خدمة القرارات السياسية.. فإن استراتيجيّاتها متعدّدة.. تبدأ بالتجريد العلنيّ لبعض الجماعات من مصداقيّتها.. إلى تخريب أعمالها أو القضاء - نفسياً أو جسدياً في بعض الأحيان - على قادتها.. مروراً بإحباط عزيمة بعض المؤيّدين لها أو إثارة النزاعات الداخلية في صفوفها.. وهكذا.. أصبحت تلك الأجهزة تشكّل محوراً - مستقلا جزئياً - في ممارسة العنف الحكومي.. يكون لأعماله تأثير على استراتيجيّات المجموعات السرّية والسلطات الرسميّة على حدّ سواء.

وبالرغم من تنوع تلك المكاتب.. وما تمثله من توجهات.. ومناهج مخابراتية مختلفة.. إلا أنهم يجتمعون على تخصيص أهمية أساسية لموازين القوى السياسية.. كما أن المبادئ التي يعملون على أساسها تتعارض مع مبادىء عالم القضاء الذي يصبّ اهتمامه بشكل أساسي على ميزان الحق (القانون). فالمهم بالنسبة لهم هو الإبقاء علي النظام الشرعيّ.. والحفاظ عليه.. حتى وإنْ كان بطرق هي نفسها غير شرعية.

الاستخبارات الفرنسية:

فمثلاً فرع المخابرات الفرنسية يكاد يقتصر دوره الأساسي على ما يسمى داخله بمكتب الحرب النفسية.. ومجموعة التحقيقات السرية فيما يتعلق

بالجماعات.. والأقليات العرقية.. والدينية.. أو غيرها من وحدات فاعلة غير معترف بوجودها رسمياً.

وقد علّق " إيف بيرتران " رئيس جهاز المخابرات العامّة الفرنسية بين عامي (1992 و2004).. على مراقبة الخطابات التي تُتلى في المساجد بقوله: "لقد أصبحنا حذرين - بشكل خاص - بعد اعتداءات 11 سبتمبر 2001.. لكن الغريب أنّ المسؤولين عن المساجد والمنظّمات استطاعوا التحكّم بجمهورهم.. الأمر الذي لا يطمئننا في كلّ حال. فهذا يعني.. بأنّ المنظّمات تتحكّم جيداً بالجماعة الدينية.. إنّ مراقبة الجماعات الدينية.. وخاصّة أماكن الصلاة والقادة والمنظمات الدّينية.. لم تبدأ فقط بعد الاعتداءات التي استهدفت مركزي التجارة العالمي والبنتاجون.. فهي تشكّل جزءاً من الإجراءات الروتينية في محاربة التجسّس.

وفي فرنسا.. تعود المحطّات الرئيسية في تطوّر الوحدات الاستخباراتية المتخصّصة في الإسلام إلى الثورة الإيرانية.. في العام 1979.. والوضع في الشرق الأوسط والاعتداءات التي قامت بها شبكة فؤاد علي صالح بين عامي (1985 و1986) وخاصّة حرب الجزائر بعد يونيو 1991.. التي أدّت إلى موجة جديدة من الاعتداءات في العام 1995. وأدّى الأمر بهذه الوحدات إلى تركيز اهتمامها على نشاط المجموعات الإسلامية المسلحة (خاصّة الجزائريّين).. من أجل وضع حدّ لنزعتها القيام بأعمال إرهابية على الأرض.. أو لعرقلة العمل اللّوجيستي الذي يتناول هذه المجموعات (من طرق دعائية.. إلي حملات تجنيد.. إلي طرق تمويل.. إلخ).

الاستخبارات الأسبانية :

يتمثل نشاط هذا المكتب في الدعم المخابراتي للمجموعات التحريرية المعادية للإرهاب.. حيث قامت باغتيال لاجئين من دولة الباسك أتوا إلى فرنسا في نهاية الثمانينات.

مكاتب المخابرات العربية:

معظم هذه المكاتب تهتم في المقام الأول بحماية رموز الحكم فيها حال تواجدهم في أية دولة بأوربا.. ولديها فرق.. وعملاء خاصين بذلك هناك.. وفي نفس الوقت تتبع أعداء الأنظمة الحاكمة.. اما لتصفيتهم.. أو مراقبتهم عن قرب.. وإبقائهم دائماً تحت السيطرة.

كما تعمل علي تسخير مجموعة من الكتاب لاسيما من الإسلاميين القدامى أو مجموعات الكتاب الجاهزين للكتابة "على الطلب" في مواجهة التيار السلفي الجهادي.. من خلال إطلاق تسمية التيار التكفيري عليه في محاولة يائسة لعزل هذا التيار ووضعه في مواجهة مباشرة مع المجتمعات العربية.

كما تشترك معظم مكاتب الدول العربية هناك في صفة العمل الفردي.. بعيداً عن روح التعاون.. والتكامل التي تجمع بين باقي مكاتب مخابرات دول أوروبا.

ومن أشهر العمليات التي تم التخطيط لها.. وتنفيذها من خلال بعض المكاتب العربية في لندن عملية (دورة الألعاب الأوليمبية في ميونخ).

المخابرات البريطانية وعملية الألعاب الأوليمبية في ميونيخ:

أعلنت صحيفة " الألوبزرفر " المخابرات البريطانية أن ألمانيا اعطت عام 1972 الضوء الاخضر لخطف طائرة بوينج من قبل منظمة أيلول الاسود الفلسطينية في إطار صفقة لإطلاق سراح ثلاثة من أعضاء هذه المنظمة شاركوا في احتجاز رياضيين إسرائيليين رهائن خلال الألعاب الأولمبية في ميونيخ.

وكان ثمانية عناصر من منظمة أيلول الأسود الفلسطينية احتجزوا في مطلع سبتمبر عام 1972 أحد عشر رياضياً إسرائيلياً رهائن في ميونيخ.. وأدت محاولة الإفراج عن الرهائن إلى مقتلهم جميعا ومقتل خمسة من عناصر المجموعة واعتقال الثلاثة الباقين. ونسبت الصحيفة معلومات عن هذه العملية لجمال الجشي وهو الوحيد الباقي على قيد الحياة من المشاركين في عملية ميونيخ وقد وردت هذه المعلومات في كتاب تزامن صدوره مع عرض فيلم وثائقي عن عملية ميونيخ بعنوان أحد أيام سبتمبر.

ويقول الجشي في الفيلم الوثائقي: إن الحكومة الألمانية أخذت في تلك الفترة على محمل الجد تهديدات منظمة أيلول الأسود بشن حملة إرهابية واسعة لإطلاق سراح الأعضاء الثلاثة في المنظمة المسجونين.

وحسب المعلومات التي قدمها الجشي ونقلتها(الأوبزرفر) فإن الحكومة الألمانية وافقت على إطلاق سراح المعتقلين الثلاثة في إطار صفقة للإفراج عن طائرة مخطوفة شرط ألا يكون بين ركاب هذه الطائرة نساء أو أطفال.

وبالفعل تعرضت طائرة بوينج تابعة لشركة لوفتهانزا الألمانية للخطف بعد إقلاعها من بيروت في التاسع والعشرين من أكتوبر 1972 أي بعد نحو ثمانية أسابيع على حصول عملية ميونيخ وأجبرت على الهبوط في ميونيخ ولم يكن فيها سوى 11 راكباً جميعهم من الرجال.

وأشارت الأوبزرفر إلى أن المستشار الألماني في تلك الفترة ويلي برانت انصاع بعد ساعات قليلة على وصول الطائرة لمطالب الخاطفين وسلمهم المعتقلين الثلاثة مقابل إطلاق سراح الركاب.

خلافات أوروبية.. مخابراتية:

ومظاهر الخلافات الأوروبية - الأوروبية في مجال التنسيق والتعاون الأمني لمكافحة الإرهاب متعددة.. لا تشذ دولة منها عن الأخرى رغم أن بريطانيا تحتل الموقع الأبرز في رفض أجهزتها التعاون مع دول أخرى في هذا الشأن.. بخلاف أجهزة الأمن الأميركية بطبيعة الحال.

مأمون دركزانلي:

ومنذ مدة ليست بقصيرة تحاول السلطات القضائية في أسبانيا أن تتسلم من ألمانيا رجل أعمال ألمانياً من أصل سوري يدعى مأمون دركزانلي يقيم في مدينة هامبورج.. لمحاكمته مع نحو 24 متهما في عملية قطارات مدريد يمثلون امام القضاء الأسباني.. إلا أن تلك السلطات لم تتمكن من تسليمه لأنه لجأ إلى المحكمة الدستورية العليا الألمانية التي عليها أن تقرر ما إذا كان القرار بتسليمه سيكون فيه خرق للدستور الألماني.. ولا يزال الأمر معلقاً.. والأمثلة على مثل تلك الحالة متعددة ولا يمكن حصرها.

المخابرات الإنجليزية تدشن مشروعها الجديد للتجسس الإلكتروني!!

أكدت الحكومة البريطانية أن جهاز المخابرات الداخلية المعروف باسم (M. I. 5) سوف يقوم ببناء مركز جديد.. يتكلف عشرات الملايين من الجنيهات.. مهمته التجسس على الرسائل الإلكترونية التي يبعث بها المواطنون أو يتلقونها.

ويقول المعارضون للمشروع.. والذي يصفونه بأنه تجسس:

" إن المشروع الجديد يمكنه أن يتجسس على الرسائل الإلكترونية.. ويعرف دائرة أصدقائك ومعارفك.. ويعرف ماذا تأكل وتشرب وتلبس ".. ويقولون: إن ذلك يعزز الفكرة السائدة في بريطانيا بأن كل المعاملات

الخاصة والعامة عن أي مواطن بريطاني مسجلة بالفعل في أكثر من 200 مركز معلومات باستخدام الكمبيوتر.. وأن هذه المراكز تتوفر لدى أجهزة الشركة والمخابرات.. والأجهزة الحساسة الأخرى مثل إدارة الضرائب.. وكذلك المصارف والمؤسسات المالية الكبرى.

الشعب البريطاني مراقب على مدار الـ (24) ساعة:

كذلك تحذر المنظمات الحقوقية من الأجواء التي تواكب أساليب المراقبة اليومية للأشخاص.. سواء عبر الهواتف أو حساباتهم المصرفية أو تنقلاتهم في الداخل والخارج.. والتي أصبحت زائدة عن الحد.. وتتعدى حدود المعقول الذي يُثار حول أهمية المحافظة على الأمن القومي.. فهناك في كل شارع في بريطانيا - حاليًا - كاميرات وأجهزة فيديو تسجل كل ما يجري 24 ساعة في اليوم.. وذلك علاوة على استخدام الأقمار الصناعية وغيرها من أجهزة التجسس.. وحتى أجهزة التليفون المحمول لا تسلم من مراقبتها والتجسس على مضمون المكالمات عن طريقها.

مؤسسة "شلتنام" البريطانية تتجسس على العالم أجمع:

وهناك مؤسسة في منطقة شلتنام بجنوب إنجلترا مهمتها التجسس لى المكالمات الهاتفية مع العالم كله.. وهي تابعة لجهاز المخابرات الداخلية.. وقد دفع هذا جمعيات حقوق الإنسان للتحذير من أن بريطانيا.. التي تُعد من أرقى الديمقراطيات في العالم أصبحت أكثر الدول التي يخضع فيها المرء لرقابة أجهزة المخابرات الداخلية والخارجية.. والأجهزة الخفية العديدة التي تعمل ليل نهار.

12 مليون جنيه إسترليني للتجسس:

وأعلن فيما بعد تفجيرات لندن مباشرةً عن تخصيص مبلغ 12 مليون جنيه

إسترليني لتحسين عمليات المراقبة وجمع المعلومات الاستخبارية في لندن.

وقال بلانكيت إن تأسيس مركز أوروبي لتحليل معلومات أجهزة المخابرات على نهج مركز التحليل الإرهابي المشترك بالمملكة المتحدة والذي يقوم بتحليل معلومات المخابرات.. ويستشير الوزراء بشأن التهديدات الراهنة.. من شأنه أن يؤدي إلى فرض سيطرة أكثر صرامة على الحدود.. واستخدام جوازات السفر والمعلومات الحيوية.. " وهو ما يجعل من الصعب استخدام هويات مزورة".. ودعا بلانكيت دول الاتحاد الأوروبي إلي تبني اقتراحه هذا.. وأخذه بعين الاعتبار.

وقالت المتحدثة باسم وزارة الداخلية البريطانية وقتها : إن تخصيص مزيد من الأموال لمكافحة الإرهاب لا يأتي كرد فعل لتفجيرات لندن.. ولكنه لإستكمال عملية التمويل وزيادة العاملين في الخدمات الأمنية.

إنشاء هيئة مركزية للمخابرات الأوربية :

ويذكر للوزير الألماني أنه في أعقاب تفجيرات مدريد في العام الماضي أنه كان أول من دعا لعقد مؤتمر طارئ لوزراء الداخلية والعدل في الاتحاد الأوروبي من أجل الاتفاق على إجراءات عملية للتعاون في مكافحة الإرهاب.. وكانت من بين تلك الإجراءات تشكيل هيئة مركزية للمخابرات الأوروبية على نسق المباحث الفيدرالية الأميركية.. إلا أن الاتفاقات التي تم التوصل إليها ظلت وبدرجة كبيرة حبرا على ورق.. واستمر الصراع بين الدول الأوروبية على اختيار شخص يقود وحدة مكافحة الإرهاب الأوروبية ليتولى دور التنسيق.

المخابرات البريطانية تطلب عملاء.. وعميلات :

أدى إعلان في الصحف البريطانية عن حاجة جهازي الاستخبارات الداخلي

(M. I. 5) والخارجي (M. I. 6) لموظفين.. إلى فيضان من آلاف الطلبات.. كما أعلنا عن حاجة الجهازين إلى موظفات جدد لشغل وظيفة عميلات لهذا الجهاز الأمني الخطير. وذكرت وكالة الخدمات السرية في الإعلان على أنها مؤسسة حكومية يرتبط أفرادها بعلاقات ودودة مع بعضهم البعض.. ولمزيد من التشجيع أكدت الوكالة أن أمومة الموظفة لا تتعارض مع واجبات العمل.

نساء المخابرات:

ويحتوي الموقع الإلكتروني لوكالة الخدمات السرية على قسم خاص يحمل اسم " نساء المخابرات " ويطمئن الموقع النساء المترددات في الالتحاق بالجهاز بأنهن غير مضطرات للعمل متخفيات أو بهويات سرية.

اتهام " توني بلير " بالتصنت على كوفي عنان:

اتهمت إحدى الوزيرات السابقات في حكومة " توني بلير" وتدعى " كلير شورت " على شاشات التلفزيون البريطاني.. الحكومة البريطانية - التي توزرت فيها لمدة ستة أعوام - بالتجسس على السكرتير العام للأمم المتحدة كوفي عنان.. والتصنت على مكالماته التليفونية.

ورد عليها " بلير" بقوله: (لا تعليق على مهام وكالات الاستخبارات.. ولا تتوقعوا مني أن أخرج عن تقاليد من سبقوني من سكان داوننج ستريت.. والحق ان دبلوماسيي الأمم المتحدة - من كبيرهم إلى صغيرهم - يعرفون أن التجسس والتصنت هما القاعدة وغيابهما هو الاستثناء)

وكان هدف التصنت هو تسجيل لقاءات مشتركة تمت بين " طارق عزيز " وزير الخارجية العراقي السابق.. و"كوفي عنان " ثم لقائهما معاً وعدداً من موظفي الأمم المتحدة. والحقيقة أنه بالفعل تصنت (M. I. 6) على ديبلوماسيي دول في حالة

حرب مع بريطانيا.. مثل العراق في عهد صدام.. أو على دول تهدد مصالح لندن.. أمر مشروع قانون في بريطانيا.. ولو أنه موضع جدل في القانون الدولي.

حكاية كاترين دان:

عشية هبوب العاصفة من تصريحات الوزيرة السابقة.. شهدت المحكمة العليا البريطانية قضية جاسوسية أخرى كانت بطلتها كاترين دان.. التي تعمل مترجمة في مركز التصنت الرئيسي التابع للحكومة.. حيث تتصنت بريطانيا على اتصالات العالم.. كاترين تصنتت على طلب من واشنطن.. قبل حرب العراق.. بالتجسس على بعثات ديبلوماسية في الأمم المتحدة.. تشمل معارضين للحرب كفرنسا وروسيا وحلفاء من جيران العراق.. نسخة من فحوى التصنت تسربت لصديقة للمترجمة.. وهي مررتها بدورها من يدٍ.. ليد.. حتى وصلت إلي صحيفة (الأوبزيرفر) التي لم تضيع وقتاً في إحراج الحكومة.

محاكمة كاترين:

فطلب الأمريكيون.. سراً من لندن ضرورة محاكمة كاترين.. وعقابها بشدة.. عرف الصحفيون بالأمر من طرف ثالث تصنت بدوره على محادثات الأمريكيين والبريطانيين حول كاترين دان التي فصلت من الوظيفة وقبض عليها.. ومن ثم تمت محاكمتها.

اختطاف الطائرات:

وفي الوقت الذي تواصل فيه السلطات البريطانية المختصة إجراء التحريات بخصوص من يقف وراء محاولة اختطاف عدد من الطائرات البريطانية والأمريكية المتجهة إلى الولايات المتحدة.. التقي في العاصمة

البريطانية لندن وزراء الداخلية في الاتحاد الأوروبى لإجراء مباحثات حول سبل تفعيل جهود بلدانهم في مكافحة الإرهاب الدولى. يشار إلى أن تفجيرات السابع من يوليو2005، والتى وقعت في العاصمة البريطانية وضعت مسألة مكافحة الإرهاب في صدارة أولويات الاتحاد الأوروبى.. مما دفع المفوضية الأوروبية إلى محاولة إقناع حكومات بلدان الاتحاد الأوروبى بالتخلى عن حقها في الاعتراض على القوانين الأوروبية المشتركة وخاصة تلك المتعلقة بالعدالة الجنائية. ومن أجل تطوير التعاون بين الجهات الأوروبية المختصة في مكافحة الإرهاب.. عين الاتحاد الأوروبى بعد وقوع هجمات مدريد في الحادي عشر من مارس 2004 مفوضاً لمكافحة الإرهاب يأخذ على عاتقه مهمة إلزام الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبى بتبادل المعلومات فيما بينها وتطبيق قوانين الاتحاد الأوروبى بشأن مكافحة الإرهاب الدولى. وفي هذا الشأن يقول مفوض مكافحة الإرهاب غيس دي فريس : إن المسؤولية في تطبيق القوانين الأوروبية المشتركة تقع على عاتق شرطة ومخابرات كل بلد على حدة.. مشيرا إلى أن مهام مفوضية مكافحة الإرهاب التى يترأسها تقتصر على تقديم المعلومات وتنسيقها. وفي حين يشكو المفوض من قلة استعداد أجهزة الشرطة والمخابرات الأوروبية للتنسيق بين بعضها البعض.. يقول المسؤول إن العمل المشترك والتعاون شهدا تحسنا ملموسا بعد الاعتداءات التي تعرضت لها قطارات الأنفاق في العاصمة البريطانية.

مركز لتنسيق وتبادل المعلومات :

كان المطلوب هو تنسيق الجهود الأوروبية من أجل مكافحة الإرهاب ويختص المركز التابع لمفوضية مكافحة الإرهاب في تنسيق وتبادل المعلومات بين أجهزة

الشرطة المعنية في البلدان الأوروبية.. وذلك عبر جهاز الشرطة الأوروبى "يورو بول" في بروكسل والنيابة الأوروبية العامة "يورو جوست" في لاهاي. علاوة على ذلك.. تعمل أجهزة مخابرات أمريكية مع نظيراتها الأوروبية في مركز يقع بالقرب من باريس على تحسين سبل التعاون بينها من أجل منع حدوث أعمال إرهابية والتصدي لمنفذيها واعتقالهم. ومن أجل توضيح مدى التفاوت في تطبيق القوانين الأوروبية المشتركة وعدم التزام الجهات الأوروبية المختلفة بها.. نشير هنا إلى أن القوانين المتعلقة بتفتيش المسافرين وحقائبهم وكذلك موظفى المطارات لا تلتزم بها الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبى مائة بالمائة. هذا ما وصلت إليه نتائج فحوصات نظمت في العام الماضي وشملت 29 مطارا في 22 دولة أوروبية.

تصفية.. وعقاب العملاء السابقين:

ومعظم جواسيس (M. I. 5) و(M. I. 6) السابقين الذين تعرضوا للعقاب.. (مثل بيتر رايت.. صاحب كتاب (مهمتهم الخيانة) الذي تناول تصنت المخابرات البريطانية على سفارات بعض الحلفاء.. وديفيد شاييللر وادعاءاته بشأن تمويل المخابرات لاغتيال العقيد معمر القذافي كانت جريمتهم مخالفة قانون المعلومات السرية لعام 1902.

المخابرات المركزية الأمريكية. والمخابرات البريطانية.. ضد العراق:

شهدت الفترة التي سبقت اندلاع الحرب في العراق مواجهة من نوع آخر دارت رحاها في عالم المخابرات المظلم.. وكان طرفاها الرئيسيان هما المخابرات الأميركية والبريطانية من جهة.. والمخابرات العراقية من الجهة الأخرى. ولأن واشنطن ولندن تعتقدان أن المخابرات العراقية تتواجد في أغلب عواصم العالم تحت غطاء سفارات بغداد في تلك العواصم.. وخلف أقنعة دبلوماسية متعددة.. فقد تحدد ميدان المواجهة منذ وقت مبكر بنطاق السلك الدبلوماسي العراقي خاصة في

أوروبا وآسيا. وفيما يلي جولات الحرب.

كانت المخابرات البريطانية والأميركية تأملان من تركيز اهتمامها على السفارات العراقية في بلدان القارتين إلى تحقيق مسلسل من الأهداف التي تحددت بوضوح منذ لحظة البدء. إذ يتعين أولاً تجنيد بعض الدبلوماسيين العراقيين ليصبحوا عيوناً داخل المخابرات العراقية تنقل ما يحدث بداخلها إلى واشنطن ولندن أولاً بأول.

فإذا تعذر ذلك فإن الخيار التالي تحدد في حث من يبدون تبرماً من النظام في بغداد على الانشقاق عن ذلك النظام.. وطلب اللجوء السياسي في أي دولة غربية يختارونها.. إن من شأن كل ذلك أن يوجه لطمة معنوية لبغداد على الصعيد الإعلامي.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الفصل الرابع:

11 سبتمبر.. والمخابرات البريطانية!!

كشفت أحداث 11 سبتمبر عن احتمال بوجود صلة - لم تتأكد أبداً - بين بغداد ومحمد عطا قائد المجموعة التي ارتكبت تلك الأحداث.. وكان من شأنه إثبات ذلك تعديل أمور كثيرة خلال مرحلة الإعداد للمواجهة العسكرية مع بغداد. ذلك أن واشنطن أكدت مراراً وجود صلة بين النظام العراقي والمنظمات الإرهابية.. وسعت إلى استخدام تلك الحجة للحصول على دعم دول أوروبية غربية.. ودول مؤثرة أخرى.. لشن الحرب ضد العراق. إلا أنها عجزت دائماً عن أن ترد على السؤال الذي وجهته لها تلك الدول بإصدار:

حرب المخابرات في بريطانيا:

وقبل أيام نشرت جريدة نيويورك تايمز القصة الكاملة لوقائع ضياع الدليل الذي يثبت أن محمد عطا التقى بالدبلوماسي العراقي أحمد خليل العاني في سفارة بغداد بمدينة براج.. وهي قصة تكشف الكثير مما دار في حرب المخابرات التي سبقت حرب المدافع. وتعود بنا القصة إلى ما حدث عقب انهيار النظام الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا عام 1989فقد ترددت الحكومة الجديدة حول ما ينبغي عمله بشأن مكتب مكافحة الإرهاب في جهاز المخابرات الذي ورثته عن النظام الشيوعي المنهار. فبينما قال بعض مسؤولي النظام الجديد: إنه يتعين حل المكتب وإعادة تشكيله من عناصر جديدة وذلك ضمن عملية إعادة بناء المخابرات التشيكية.. فإن آخرين اعترضوا على ذلك. وفسر المعترضون رأيهم بأن هناك عدداً من مكاتب المخابرات القديمة يتعين الإبقاء عليها بسبب طبيعتها الخاصة. فقد أشرف ضباط هذه المكاتب على تكوين علاقات بعملاء في مواقع مختلفة.. ومن المحتم أن يؤدي فصل هؤلاء الضباط من الخدمة إلى ضياع أجزاء واسعة من شبكة العملاء التي تكونت عبر تراكم عمل مكثف خلال عقود من الزمن.

ووافقت القيادة التشيكية الجديدة على هذا الرأي الأخير.. أي رأي

المعارضين.. وصدر قرار بالإبقاء على عدد من أفرع جهاز المخابرات القديم مع تغيير توجهها.. فبدلاً من أن يكون الخط الناظم لهذه الأفرع هو مواجهة الغرب.. فإن عليها أن تتعاون بدلاً من ذلك مع خصوم الأمس.وما لبث ذلك القرار أن أثمر بصورة فورية.

أزمة طائرة بان - إم 103 (لوكيربي) :

فقد قدم مكتب مكافحة الإرهاب القديم - الجديد في المخابرات التشيكية معلومات ثمينة إلى المخابرات البريطانية حول تورط عملاء ليبيين في حادث تفجير طائرة بان - أم 103 فوق لوكيربي بإسكتلندا.. وبدأ المكتب ينسق مع الأجهزة الغربية نتائج عمل رجاله وعملائه في صفوف المنظمات الشرق أوسطية التي كانت في السابق تعتبر أن براج محطة صديقة مهمة تدعم عملياتها.

وبدا أن المخابرات البريطانية (M. I. 6) مهتمة بصفة خاصة بالمخابرات التشيكية الجديدة. فقد قدمت لندن منحاً تدريبية لعدد واسع من الضباط الجدد في الجهاز التشيكي.. وأرسلت خبراء للإشراف على إعادة هيكلته. وأفضى هذا إلى تحول ذلك الجهاز إلى مؤسسة تشبه من حيث هيكلها وأساليب عملها المخابرات البريطانية وليست المخابرات الأميركية.. رغم احتفاظها بعلاقات مفتوحة مع السي. آي.أيه.

حكاية الدبلوماسي العراقي جابر سليم :

إلا أن العلاقة بين الجهازين البريطاني والتشيكي تعرضت لانتكاسة مفاجئة في نهاية التسعينات بسبب واقعة محددة أدت إلى استياء بريطاني بالغ من مكتب مكافحة الإرهاب في براج. ففي ذلك الوقت كان رئيس محطة المخابرات البريطانية في العاصمة التشيكية كريس هوران يعمل على تجنيد دبلوماسي عراقي يدعى جابر سليم يحتل الموقع الثاني في سفارة بغداد ببراج.

كان لدى البريطانيين ما يفيد بأن جابر أبدى تبرمه من النظام العراقي خلال عدد من المناسبات. وأجرت المخابرات البريطانية مجموعة اختبارات أولية لمعرفة ما إذا كان بالإمكان تجنيد الدبلوماسي المتبرم.. وما لبث تقييم العملية أن برهن على وجود احتمال كبير بنجاحها.. وهكذا بدأ هوران ورجاله تنفيذها في براج.

كان من المنطقي أن يحدث ذلك بالتنسيق مع المخابرات التشيكية.. إذ يتعين مراقبة جابر خلال تحركاته في براج.. وقال هوران إن أهل المدينة أدرى بشعابها فضلاً عن أنهم محل ثقة بحكم العلاقات الخاصة التي تربط الجهاز التشيكي بنظيره البريطاني.. وهكذا فقد قام الضابط البريطاني بإبلاغ التشيكيين بطلبه بوضع مراقبة خاصة على الدبلوماسي العراقي.

وجاءت التقارير التشيكية لتؤكد أن استهداف جابر كان له ما يبرره.. فقد تأكد أنه لا يكف عن انتقاد بغداد وسياساتها.. وقررت لندن أن الموعد قد أزف بتجنيد الدبلوماسي العراقي.. وإبلاغه بأن يكف عن انتقاد السلطات العراقية حتى لا يلفت الأنظار.. وأن يزود المخابرات البريطانية بما لديه من معلومات أولاً بأول باستثمار موقعه الدبلوماسي المؤثر.

جابر في ألمانيا:

وحين بدأ رجال هوران في التحرك نحو جابر اختفى الدبلوماسي العراقي فجأة من براج.. بل ومن تشيكوسلوفاكيا كلها. كان الأمر محيراً.. إذ لماذا اختفى جابر في هذا التوقيت بالذات؟ ثم كيف أفلت من مراقبة المخابرات التشيكية هو وزوجته وأولاده الستة؟ إنها أسرة كبيرة.. والمفترض أن التشيكيين - استجابة لطلب بريطاني مسبق - يراقبون الرجل على مدار الـ 24 ساعة. كيف أنهم يقولون لهران إنهم لا يعرفون أين ذهب جابر سليم وأولاده؟

وفيما كان البريطانيون يحكون رؤوسهم في محاولة لحل لغز اختفاء جابر

وأسرته.. تحت أعين المخابرات التشيكية.. صدر بيان مقتضب من وزارة الخارجية الألمانية يعلن أن دبلوماسياً عراقياً وصل إلى العاصمة الألمانية مع أسرته وطلب اللجوء السياسي، وكان اسم ذلك الدبلوماسي جابر سليم.

صدمة لندن:

كانت مفاجأة حقيقية للندن ذلك أن جابر قد يكشف أسراراً هامة تتعلق بما حدث.. ولكنه فقد أي قيمة مستقبلية. فقد كانت خطة (M. I. 6) هي تحويل جابر إلى مصدر دائم للمعلومات.. خاصة وأن عراقيين كثيرين كانوا يتوقعون له مواصلة الترقي حتى الوصول إلى موقع حساس في وزارة الخارجية العراقية. أما الآن.. وبعد أن طلب الدبلوماسي اللجوء في المانيا.. فقد تقلصت مكاسب العملية بأكملها إلى حد بعيد.

تسوية الحسابات:

وقابل ضباط بريطانيون جابر سليم في منزل بأحد ضواحي برلين لاستجوابه عما بجعبته من معلومات لقطف ما يمكن اقتطافه من ثمار بعد أن ضاعت الثمار الأكبر التي أملوا في جنيها.. ثم استداروا بعد ذلك نحو المخابرات التشيكية لتسوية الحسابات حول ذلك التخبط غير المفهوم.

أخطاء لا تغتفر:

بدأ ذلك بإرسال مذكرة شديدة اللهجة إلى التشيكيين حول مسلسل الأخطاء الذي لا يغتفر الذي ارتكبوه في عملية جابر سليم.. ثم بإرسال مذكرة ثانية تطالب بإجراء تحقيق داخلي في الجهاز التشيكي لرصد ما إذا كانت هناك اختراقات لأسباب سياسية أو لأسباب ترجع إلى الفساد المالي.. وبإبلاغ لندن بنتائج التحقيق حيث إنه يهدد أمن أجهزة مخابرات صديقة تتعامل مع براج.. فضلاً عن ضرورة

معاقبة المسؤولين.

البريطانيون.. آخر من يعلمون:

وحين حاول البريطانيون فهم ما حدث بأنفسهم.. ودون انتظار نتائج التحقيق الذي طالبوا بإجرائه.. اكتشفوا أن جهاز المخابرات التشيكي يعاني من انقسامات داخلية حادة بين تكتلات مختلفة. فهناك تكتل العناصر القديمة التي خدمت أثناء حكم الشيوعيين.. وهناك تكتل البريطانيين.. أو الضباط الشباب الذين تلقوا تدريبهم في بريطانيا.. وهناك تكتل الفلوس.. إن ذلك الذي لا يحفل إلا بتحقيق أكبر مكاسب مالية ممكنة إما عن طريق المشاركة في عمليات الفساد الداخلي أو عن أي طريق آخر.. ثم هناك تكتلات إضافية تتبع مسؤولين بارزين في الحكومة.. كل له فريقه.

واستنتج البريطانيون أن إحدى الفرق المعادية لمجموعتهم داخل المخابرات التشيكية ساعدت جابر على انتهاج الطريق الذي انتهجه.. أي على الذهاب إلى المانيا قبل أن يطلب منه البريطانيون أن يعمل لحسابهم وأن يبقى مع ذلك في سفارة العراق ببراج.. أو يعود إلى بغداد. فقد كان الخيار الأفضل للدبلوماسي العراقي - من زاوية مصلحته الشخصية ومصلحة أسرته - أن يتجه إلى برلين بسرعة.

انحراف أخلاقي:

وحين ألح البريطانيون في طلب معاقبة المسئولين عما حدث في قصة جابر.. بداية من إفلاته من المراقبة وصولاً إلى أسباب الانقسامات الداخلية في الجهاز.. شعرت الجبهة المعادية لرجال (M. I. 6) في براج بأن البريطانيين يحاولون مهاجمتها وإجبارها على اتخاذ مواقف دفاعية.. فردت هذه الجبهة بتسريب خبر إلى الصحف التشيكية بأن هوران منحرف أخلاقياً.. وبأن هناك صوراً مشينة يمكن أن تثبت ذلك.وقررت لندن سحب هوران من براج بعد أن تهدأ الضجة.. إلا أن مثل هذه

الجراح لا تندمل بسرعة.. خاصة وان البريطانيين سيعرفون بعد ذلك ان خسارتهم لجابر سليم أدت إلى تخبط كبير في رصد دقائق اتصالات محمد عطا مع أحمد خليل العاني بعد ذلك بعام واحد.. وإلى فقدان مصدر ثمين للغاية داخل السفارة العراقية في براج.

تغيير رئيس جهاز المخابرات:

ونقلت الحكومة البريطانية إلى أعلى المستويات السياسية في براج تفاصيل ما حدث.. وملامح صورة ما يدور في المخابرات التشيكية من صراعات.. فتقرر نقل مدير تلك المخابرات كاريل فولترين من منصبه وتعيين جيري روزيك مدير جديد للمخابرات. إلا أن ذلك القرار أسفر بعد ذلك عن آثار عكسية تماما.

ذلك أن روزيك كان ينتمي إلى كتلة الفلوس.. أو هكذا يقول خصومه.. فهو ثري بحكم استرداد عائلته - التي كانت ثرية قبل حكم الشيوعيين - لممتلكاتها ومنها مبان في قلب العاصمة التشيكية. فضلاً عن ذلك فإنه لم يكن يحب البريطانيين كثيراً.. لا لشيء إلا لأنهم تمكنوا من تشكيل تكتل خاص بهم داخل الجهاز. ثم - بعد ذلك كله - فإن روزيك كان يكن كراهية شديدة لرئيس الوزراء وقتها ميلوس زيمان.

* * * * *

(لقاء محمد عطا.. والعاني):

وميلوس زيمان اسم محير بحق في براج وخارجها. فهو شخص ناري المزاج.. يفتقد أي قدر من التروي الدبلوماسي. ويذكر له في هذا المجال أنه قال: إن ياسر عرفات يذكره بأدولف هتلر. ثم إن لزيمان علاقات قوية بدوائر المحافظين المتشددين في الولايات المتحدة وبريطانيا. وهو متهم دائماً بأنه يمكن أن يحتد في أي نقاش

فيقدم - كي يدعم وجهة نظره - معلومات يعلن أنها كاذبة.وهكذا احتدمت الخلافات مرة أخرى. روزيك ضد زيمن.. وزيمن ضد المخابرات.. خاصة وأن الجميع يعرفون أن الرجل يُعد كي يصبح رئيساً للبلاد بعد وفاة الرئيس هافل.. والمخابرات ضد بعضها البعض.. ووزارة الداخلية ضد الجميع. وفي هذا المناخ المضطرب يقول البعض : إن محمد عطا التقى مع العاني.. على الخط الجانبي لمباراة ساخنة لا علاقة للاثنين بها.. إذ يفترض أنهما كانا يعدان لمباراة أسخن.. في نيويورك وواشنطن.. أي في 11 سبتمبر.

مجموعة لندن :

مجموعة لندن قالت : إن هناك معلومات كافية تشير إلى حدوث اللقاء. ففي صورة فوتوغرافية ملتقطة من بعيد للعاني بدا معه شخص يثبت التحليل الكمبيوتري أنه محمد عطا. واندفع زيمن لإبلاغ واشنطن ولندن بالخبر.. وحين طلبت المخابرات المركزية والمخابرات البريطانية من المخابرات التشيكية تقريراً حول الموضوع.. قرر روزيك أن يصفي حساباته مع زيمن.. وأن يجعله يتعرض لأكبر حرج ممكن أن يتعرض له رئيس للوزراء.. فوضع تقريراً يقول إن التحليل الكمبيوتري لم يسفر عن أي نتائج قاطعة بأن من كان مع العاني هو محمد عطا.. وأن فحص سجلات تأشيرات الدخول الممنوحة برهن على أن السلطات التشيكية لم تمنح شخصاً باسم محمد عطا أي تأشيرة لدخول البلاد.. ثم إن فحص سجلات أسماء المسافرين على شركات الطيران التي وصلت إلى براج أثبت أنه ليس بينهم أي شخص بهذا الاسم.

ماذا حدث بالضبط؟! :

ونظراً لأهمية المسألة سياسياً فقد عادت واشنطن ولندن إلى الاتصال برئيس الوزراء التشيكي زيمن لسؤاله عما يحدث حقاً. وطلب رئيس الوزراء إمهاله بعض

الوقت للتحقق من الأمر. وبعدها جاءت اللحظة التي انتظرها روزيك.. فقد توجه إليه رئيس الوزراء – في مقابلة مباشرة – برجاء شخصي أن يعيد التحقيق في الأمر. ورد روزيك بهذه الجملة هل تريدني أن أفبرك معلومات؟ إذا كنت قد تسرعت بإبلاغ واشنطن ولندن بأخبار غير مؤكدة فعليك وحدك أن تتحمل مسؤولية ذلك.

حكاية مثل الزئبق:

وهكذا تدحرجت قصة لقاء العاني – عطا إلى بر الظلام كما يقولون. إذ هل التقيا بالفعل؟ هل لدى روزيك دليل يريد اظهاره بسبب سخونة المعارك الداخلية في براج؟ أم تراهما لم يلتقيا من الأصل؟ وأن روزيك متمسك فحسب بامانة مسؤوليته.. غير راغب في تحويل القضية إلى سند يدعم طموحات زيمن السياسية ورغبة في إرضاء من يدعمونه في لندن؟ اغلب الظن أن هذه الأسئلة ستبقى معلقة لبعض الوقت حتى تنقشع سحب خلافات براج.. ومن يدري؟ فلعل التغيير المأمول في بغداد يؤدي إلى إخراج أوراق المخابرات العراقية إلى العلن ليجد فيها العالم محضر جلسات العاني – عطا.. أو محاضر جلسات لمستويات أعلى من الجانبين معاً.

الفصل الخامس:

ضحايا لندن.. من المصريين.. والعرب!!

المخابرات البريطانية.. والحكام العرب:

أدت بعض التسريبات للصحف الإنجليزية عن محاولة اغتيال القذافي التي أعدت لها المخابرات البريطانية الخارجية إلى فتح ملف النشاط الخارجي لهذا الجهاز الذي يعتبر أخطر جهاز تجسس عالمي لعب أدوارا أساسية في العديد من دول العالم ونجح في تجنيد عملاء احتلوا مناصب في قمة الهرم السياسي في بلادهم ومنهم زعماء وقادة وملوك عرب.

بدأت التسريبات بالخبر الذي نشر عن ضلوع المخابرات البريطانية بمؤامرة لاغتيال القذافي والذي نسب لعميل بريطاني سابق وفضح جانباً من عمليات الجهاز بعد هروبه من بريطانيا. وتوالت المفاجآت بتسرب أخبار أخرى عن عملاء هذا الجهاز وكان على رأسهم " نيلسون مانديلا ". " وعدد من الملوك والقادة العرب الذين خدموا السياسة الإنجليزية في المنطقة على المدى البعيد.

الملك حسين. والملك الحسن وعلاقتهما بالمخابرات البريطانية:

الملك حسين والملك الحسن كانا على رأس عملاء الجهاز وكانا يتقاضيان مرتبات شهرية منه... وإذا كان هذا الاتهام لملك المغرب الراحل جديدا على القراء العرب فإن توجيه الاتهام للمك حسين ليس جديدا. فقد كان جمال عبد الناصر قد اتهم الملك حسين في أكثر من مناسبة بالعمالة لإنجلترا وظلت اتهامات عبد الناصر تدور في إطار الاتهامات التي لا تستند إلى دليل مادي إلى أن نشر رئيس تحرير الواشنطون بوست خبرا نسبه للرئيس الأمريكي كارتر اتضح فيه أن الملك حسين كان مجندا بشكل رسمي في جهاز الاستخبارات المركزية الأمريكي مقابل مرتب سنوي يعادل مليون دولار وظل يعمل الملك عميلا لهذا الجهاز طوال 12 سنة إلى أن قرر الرئيس كارتر وقف مخصصاته بعد أن أحيط علما بها من قبل

رئيس الجهاز وتبين أن الملك حسين كان قد أعطي اسما مستعارا لهذا الغرض.

الملك حسين – عند الكشف عن هذه الفضيحة – سارع إلى الإنكار ثم ما لبث ان اعترف بالتهمة مدعيا أن المليون دولار كان ينفقها على تأمين الحراسات الخاصة لأولاده الذين درسوا في أمريكا في حين ذكرت الواشنطون بوست أنه أنفقها على السيارات الخاصة واليخوت والقصور التي اشتراها في أوروبا وأحدها أصبح الآن موضوع خلاف وصراع بين زوجتيه الأمريكية والإنجليزية.

وكان قد تم تجنيد الملك الحسن هو الآخر منذ أن كان وليا للعهد خلفا لوالده الملك محمد الخامس وأن المخابرات البريطانية هي التي أوصلته إلى الحكم بعد إسقاط والده الملك طلال وتلفيق تهمة الجنون له وتم ذلك بالتعاون والتنسيق مع خال الملك الشريف ناصر بن جميل أحد أهم عملاء الجهاز في المنطقة.

* * * * *

(المخابرات البريطانية.. وحكام عرب آخرون)

السلطان قابوس:

كما جاء اسم السلطان قابوس ضمن قائمة الحكام العرب الذين جندتهم المخابرات الإنجليزية أثناء إقامته في لندن وبعد تخرجه من كلية ساندهرست العسكرية وأعيد السلطان إلى مسقط وساعدته المخابرات في الانقلاب على أبيه السلطان سعيد أحد ألد أعداء بريطانيا في المنطقة.

كما ورد اسم عبد الكريم قاسم ونوري السعيد كعملاء للجهاز في العراق وكانت الأدوار الأساسية للعميلين تتركز في إسقاط جمال عبد الناصر في مصر بطريق غير مباشر.

نيلسون مانديلا:

مصادر برلمانية بريطانية مطلعة على موضوع الزج باسم الرئيس الإفريقي التاريخي لدولة جنوب إفريقيا ضمن قوائم المتعاملين مع جهاز المخابرات الخارجية البريطاني (M. I. 6) فقالت:

"إن نيلسون مانديلا لم يكن ظاهرة فريدة في مجال النضال ضد العنصرية في العالم فحسب.. بل كان من الواجهات التي تعاونت مع الحكومات البريطانية المتعاقبة من أجل تحسين صورة السياسة الدولية من جهة وتبييض صورة وسجل المخابرات البريطانية التي أسهمت في وقت ما ولا تزال في صنع أحداث عالمية مبهرة ورئيسية لم يحن الوقت للكشف عنها".

إن بريطانيا لا تزال الدولة الرائدة في مجال صنع الجاسوسية ومحاربتها على السواء.. وإن ملفاتها حبلى بأكثر مما لدى المخابرات المركزية الأميركية.. من أحداث وقصص ومعلومات.. على الرغم من الفارق الكبير في الإمكانات بين الجهازين.. ويشير المصدر إلى أن جيلاً كبيراً ومتعدداً من الزعماء والقادة العرب الذين تبنتهم.. أو بنتهم.. أو أوصلتهم المخابرات البريطانية إلى السلطة ما زال أمره في طي الكتمان.. ولكن هناك اتجاهاً واضحاً بالكشف عن البعض من هذه الأسماء بشكل رسمي.. خاصة بعد مرور سنوات طويلة على عمالتهم وفقاً لقانون بريطاني يسمح بالكشف عن وثائق سرية بعد مرور خمسين عاما عليها.

إن الخوف الذي تردد عن احتمال تسرب معلومات استراتيجية أمنية من خلال احتمال فك شيفرة محتويات حقيبة آلية كمبيوتر محمول فقده عميل مخابرات بريطاني في محطة بادنجتون للقطارات في أطراف الحي الغربي في لندن.. غير مبرر ومبالغ فيه إذ أن مثل هذه المعلومات مبرمجة لمحو ذاكرتها أو تجميد اتصالاتها مع الشبكة الأم حال تغير أسلوب فك رموزها أو التوقف عن استخدامها خلال فترة

وجيزة.. فضلا عن قدرة الإدارة المركزية للمعلومات والأرشيف في إدارة الجهاز الذي يقع على ضفاف نهر التايمز في منطقة ويست منستر.. على تعطيل عمل الكمبيوتر المحمول الذي يحمل عادة أرقاما خاصة مصنفة بطريقة معقدة.

تسريب متعمد:

وكانت بريطانيا قد سربت على نحو كما يبدو وبشكل متعمد معلومات مضللة إلى العراق قبل أسابيع معدودة فقط من بدء الحرب الجوية لتحرير الكويت مطلع عام 1991 عندما سهلت سرقة أو ضياع حقيبة ملفات وكمبيوتر محمول صغير خاص بوزير الدفاع آنذاك.. وقيل يومها إن كافة أسرار حرب تحرير الكويت ضمن محتويات الحقيبة المفقودة التي اختفت من سيارة الوزير الذي يشغل اليوم رئيس اللجنة المشتركة لأسرار الأمن والدفاع في البرلمان البريطاني وهي أعلى جهة برلمانية في مجلسي العموم واللوردات مسؤولة عن السياستين الدفاعية والأمنية بما فيها المخابرات الداخلية والخارجية.

اغتيال القذافي:

ويقال أيضا إن (M. I. 6) تعمد أيضا الكشف عن معلومات خطة لاغتيال الرئيس الليبي العقيد معمر القذافي عام 1996 لأسباب اقتصادية بحتة هدفها إظهار تراجع الدولة البريطانية في عهد العمال بعد (18) عاما من حكم المحافظين عن التورط في خطط للاغتيالات والتصفيات السياسية.

ولا تزال المخابرات البريطانية وجهات رسم القرار الاقتصادي والسياسي في لندن هي الحاكم الحقيقي للعالم في نظر الكثيرين من أعضاء مراكز الدراسات الاستراتيجية في العالم.

أصبحت لندن هي عاصمة الموت الغامض لمشاهير مصريين.. خاصةً ممن

تجمعهم علاقة ما سواء بجهاز المخابرات المصرية.. أو بأجهزة مخابرات أخرى.. سواء عربية.. أم عالمية.. وممن اختاروا العاصمة البريطانية.. بعد سنوات من الجاه.. والقوة.. والنجومية.. ليقضوا بها ما تبقى لهم من أيام حياتهم.. ليأتي الموت فى لحظة ليعيد كلاً منهم إلى دائرة الاهتمام قبل أن يُغلق ملفه كما فُتح.. غامضاً.

سر الموت الغامض بعاصمة الضباب..!!

هناك في ذات الدولة - بريطانيا - وفى نفس العاصمة لندن.. لقي ثلاثة من أهم الشخصيات المصرية المعاصرة - كل فى مجاله - حتفهم بنفس الطريقة.. السقوط.. أوالإسقاط من شرفة أحد المنازل.. كان آخرهم أشرف مروان.. وفى حالتين من الثلاث.. وهما حالتا " الليثى ناصف " قائد الحرس الجمهوري إبان حكم الرئيس السادات.... و" سعاد حسني " كانا فى نفس المكان أسفل برج ستيوارت المشئوم.

بينما كان هناك حالات أخرى مثل "على شفيق " مدير مكتب عبد الحكيم عامر.. ورسام الكاركاتير العربي الأشهر " ناجي العلي ".. وغيرهم.. ممن كان لا بد من القضاء عليهم.. لأسباب بقدر ما تبقى في علم الغيب.. بقدر ما تخلق ساحةً للمنظرين والمحللين للإدلاء بتفسيراتهم.

كلمة السر (كتابة المذكرات) :

وكانت كلمة السر دائماً في حالات الموت الغامض هي عزم المتوفىّ على كتابة مذكراته.. وهوأمر محير للغاية.. ويلقى بنا وسط ظلال معتمة من الإثارة والدهشة بلا حدود.. وكأننا نعيش حالة مشاهدة استثنائية من فصول مسرحية تراجيدية مستمرة.. فجميع هؤلاء الضحايا رحلوا.. ومعهم العديد من الوثائق والمعلومات والأسرار التي كانت معرفتها بلا شك خطراً شديداً على الكثيرين ما هو إلا فصل جديد من تلك المسرحية الغامضة.. ومجبرون نحن كمصريين وعرب على أن نتابع

فصولها من وقت لآخر.. ليس لنا خيار حتى فى أن نذرف دموعنا وقتما نريـد.. أو أن نضحك.. ونتفاعل مع الأحداث وفقـاً لكيفيـة تواصـلنا معهـا.. وعنـد إسـدال الستار عقب كل فصل من فصولها ننظر فى عين بعضنا البعض.. نتساءل جميعنا فى صوت واحد.. ونبرة يمتزج فيها الحزن بالألم.. على من ستدور الدائرة ؟

حكاية الليثى ناصف!!

اختارالرئيس عبد الناصر " الليثي ناصف " لتأسيس وقيادة الحرس الجمهـورى لثقته الشديدة في شخصه.. ثم استمر الرجل في منصبه أيام السـادات.. بعـدها قـام بدور هام فى إعتقال نجوم مراكز القوى بدايةً من الفريق محمد فوزى القائـد العـام للقـوات المسـلحة وعلـى صـبرى.. وسـامى شـرف.. وأحمـد كامـل المسئول عـن المخابرات.. وشعراوى جمعة.. ولبيـب شـقير.. عبـد المحسـن أبـو النـور.. وغـيره.. وذهب إلى السادات فى منزلـه ليؤدى لـه التحية العسكرية ويطمئنه مؤكداً لـــه أنـه أصبح منذ تلك الليلة فقط يستطيع أن يحكم مصر.. بعد أن أصبح حاكمها الأوحد ويستطيع أن ينام ملء جفونه.. فكافأه السادات بتكريمه عام 72 ومنحه رتبة الفريق وعينه كبيراً للياوران وقائدا للحرس الجمهورى.. وفجأة بعدها اتخذ قراراً بعزله من منصبه ونقله من السلك العسـكرى إلى السـلك الدبلوماسـى وعينـه سـفيراً لمصـر بلندن.. هذا الرجل عثر عليه صباح الرابع والعشـرين مـن أغسـطس 1973 جثـةً هامدةً أسفل عمارة (ستيورت تأور).. بعد أن سقط من الدور العاشر حيث كـان يسكن هناك فى شقة أشارت بعض الكتابات فيما بعد أنها كانت تتبع جهـازاً أمنيـاً مصرياً.. وكان في هذه الفترة يعالج من تكرار إصابته بدوار شديد يعتريه من وقـتٍ لآخر.. وكانت زوجته في إحدى الغـرف بالشـقة في الوقـت الـذى شـعرت بتـأخر خروجه من الحمام الذى كان قد دخله منذ وقت ليس بالقليل.. فطرقت عليه باب الحمام أكثر من مرة ولما لم تسمع إجابة فتحت باب الحمام فلم تجد زوجها.. ظنـت

في البداية أنه قد خرج وارتدى ملابسه دون أن تشعر به ونزل ليمارس رياضة المشى التى كان معتاداً عليها في هذا التوقيت من كل يوم.. بعدها بدقائق سمعت طرقاً على الباب وعندما ذهبت لتفتح فوجئت بضابط من الشرطة البريطانية يخبرها بأنه قد عثر على جثة زوجها أسفل البناية اللندنية الشهيرة.. وعندما هرولت الزوجة إلى أسفل شاهدت جثة زوجها والشبشب الذى يرتديه في قدميه كما هو.. ولم تجد آثاراً لأية دماء على الجثة(!!).. التبرير الشائع فيما بعد أن الليثى كان يقف في شرفة الشقة وأصيب بدوار شديد أفقده توازنه فسقط من الشرفة.. التصور غير الرسمى للحادث على لسان الزوجة أن هناك مجهولين اختفوا ليلة الحادث في مكان ما بالشقة وفى الصباح عندما واتتهم الفرصة تمكنوا من الرجل ووضعوا كمامة بها مخدر على أنفه ثم سحبوه إلى إحدى الشرف أثناء انشغال زوجته وألقوه حيث عثر فيما بعد على جثته.

مبررات الانتحار..!!

فهناك من قال بأن الليثي ناصف كان مريضاً.. ومر بتراجعات وظيفية حادة بعد أن كان قائد الحرس الجمهوري واللاعب الأهم في تصفية ما عرف بمراكز القوى في بداية عهد الرئيس السادات.. وفجأة وجد نفسه خارج المضمار تماما فى الوقت الذى كان يتخيل فيه بأنه أصبح الأقرب والأهم عند السادات الرجل الذى قام بحمايته وسلم له مصر على طبق من ذهب فوجئ بأنه يقصيه تماما عن الطريق بعد صدامهما الشهير.. وعلى حسب ما أكده الدكتور محمود جامع أحد الأصدقاء الشخصيين للرئيس السادات في مذكراته الشخصية أن الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري أنقذ السادات من عدة محاولات اغتيال.. وأنه أنقذ مصر كذلك من حرب أهلية حينما طلب الليثي من السادات إصدار قرار بأن تكون

تبعية الحرس الجمهوري لرئيس الجمهورية وحده.. ويتم عزله تماما عن الجيش.. وهو ما أتاح لليثي قدرة التحرك والدخول بقوة للقبض على مراكز القوى.. وقام الفريق الليثى ناصف بتقديم استقالته من ديوان رئاسة الجمهورية والحرس الجمهوري.. بعد أن أراد رئيس الديوان حافظ إسماعيل تنظيم الديوان.. بحيث لا يتصل كبير الأمناء وقائد الحرس الجمهوري بالرئيس إلا عن طريقه.. وهو ما لم يرض الليثي.. وقبل السادات استقالته على الفور.

السادات غررّ بالليثي:

قيل فيما بعد أن الشقة التى كان يقيم بها ناصف تابعة للمخابرات المصرية.. وبالتحديد رجلها محمود نور الدين.. الذي اتهم في أوائل التسعينات بقيادة تنظيم (ثورة مصر) الذى دبر عمليات ضد رجال إسرائيل في مصر بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد.. وكان نور الدين قد انتقل من الالتزام بشرعية الرئيس أنور السادات إلى الخروج على نظامه بعد زيارة السادات للقدس المحتلة.

نور الدين مات فى السجن منذ سنوات.. لكن بعدما دارت حوله تهمة التورط في قتل الليثي ناصف [1].

تلمّيحات عدة أشارت إلى أن الرئيس السادات كان هو صاحب المصلحة الأولى في اختفاء الرجل الذي كان وراء تثبيته على مقعد الرئاسة.

فالليثى كان عسكرياً ملتزماً بالشرعية.. والسادات أقنعه بأن هناك مؤامرة تدبر ضده ليلة 14 مايو 1971.. وذلك عندما فكر رجال الزعيم الراحل جمال عبد

(1) بحسب ما ذكرته زوجة الليثي للكاتب الصحفي عادل حمودة في حواره الخاص معها الذي نشر فى مجلة (روز اليوسف) في التسعينيات.

الناصر في عزل السادات داخل بيته وإحداث فراغ سياسي بالاستقالة المفاجئة.. فيما عرف وقتها بـ (انقلاب مراكز القوى).

فحرّك الليثي الحرس الجمهوري وأكمل الانقلاب لصالح السادات وفي ظنه أنه يحمي نظام الحكم من المشاغبين المتطاولين على الرئيس الشرعي.. لكنه اكتشف أنه كان أداة في لعبة صراع على السلطة.. وهو ما رفضه.. ولم يقبله فيما بعد على نفسه.

ودارت عليه الدائرة.. وبدأ السادات محاولات التخلص منه أولاً بإزاحته إلى أعلى حتى وصل إلى منصب المستشار العسكري للرئيس.. وهو منصب شرفي اكتشف الليثي ناصف أنه يشبه الفخ الذكي لإبعاده.. لكي لا يكون له شركاء يظنون أن لهم حقوقاً في الحكم.

وروت زوجة الليثي فيما بعد.. أن المؤامرة على زوجها بدأت من توريطه في الصراع على السلطة.. ولم تنته بالاختفاء الغامض حين خرج من غرفة نومه إلى الحمام بلباس النوم.. وفوجئت بضابط سكوتلانديارد يطرق باب بيتها ليخبرها أنه سقط من الشرفة.

رغم أن الشرفة ضيقة لا تتسع إلا لبعض أواني نباتات الظل.. ولا يمكن القفز منها.. ورغم أن ابنتهما كانت تنام على سرير يمنع الوصول إلى الشرفة أساساً إلا بعد إيقاظها.

لكن الرواية الرسمية للأمن البريطاني قالت: إنه سقط من الشرفة بسبب دوار ينتابه بسبب المرض الذي جاء الليثى ناصف خصيصاً إلـي لندن للعلاج منه.. واضطرت الزوجة إلى الرضوخ للرواية الرسمية لكي تعود بجثمان زوجها من لندن إلى القاهرة.

حكاية السندريلا!!

سعاد حسنى فنانة كانت.. وما زالت تحتل من عقل ووجدان كل عربى ما لا يستطيع الزمن أن يمحوه.. وهى واحدة من الفنانات اللائى تم استغلالهن بواسطة المخابرات المصرية فى الستينات أيام رئاسة صلاح نصر للجهاز للقيام بأعمال مخابراتية.. وبناء عليه كانت تعرف الكثير من الأسرار التى لم يكن ينبغى أبداً أن تخرج للنور.. وفى خضم الحديث عن مذكراتها ونيتها فى بيعها مسجلةً بصوتها لإحدى القنوات الفضائية.. لقيت حتفها فجأة صباح يوم 20 يونيو 2001 وبالطريقة نفسها السقوط " أو الإسقاط " من الدور السادس.. وعثر عليها جثة هامدةً أسفل نفس العمارة (ستيورت تاور) التى كان يقيم وتوفى بها الليثى ناصف.

مبررات انتحار السندريلا..!!

قيل: إن سعاد حسني التى انضمت إلى تلك القائمة دخلت في أزمة مع نفسها أمام المرآة فرفضت صورتها التى لم تكن تتخيل أنها من الممكن أن تصل إليها فى يوم من الأيام.. باختصار رفضت الاعتراف بواقعها الجديد ومتغيرات الزمن.. وتكالب على (السندريلا) المرض والغربة وضيق ذات اليد.. فمهد كل ذلك لها اتخاذ قرارها بالانتحار.. وفوجئنا بها جميعاً وقد سقطت من شرفة منزل صديقتها " منى يسرى " التى كانت تقيم لديها كضيفة بعد خروجها من المستشفى حيث كانت تعالج من آلام الظهر وحالة الاكتئاب التي تعانيها منذ عام 1998.. ورغم أنه لم يتم حتى الآن الكشف أو التوصل إلى الأسباب الحقيقية لوفاة سعاد حسني.. إلا أن هذه القضية صاحبها جدل وأحاديث تقول: إنها كانت على وشك كتابة مذكراتها.. وأنها تنوي كشف الكثير من الأسرار حيث كانت على علاقات وثيقة برجال كثيرين في عهد الرئيس عبد الناصر.. وتعرف الكثير من أسرار الكبار التى كانت على علمٍ بها.. وحكتها كلها فى تسجيلاتها الصوتية وورد فيها ذكر "

أشرف مروان ".. فاتخذ قراره بتصفيتها هى الأخرى.

السندريلا.. والمذكرات القاتلة:

كانت سعاد حسني - كما قلنا - عندما لقيت حتفها في لندن.. تقيم بنفس البناية التي سقط رئيس الحرس الجمهوري من إحدى شرفاتها (ستيوارت تاور).. كما أن هناك رواية انتشرت ساعة موتها من أنها قتلت بيد المخابرات.. لماذا؟

قيل: لأنها كانت تكتب مذكراتها.

هذه الرواية.. التي نظر إليها وقتها على أنها خيالية.. باتت صالحة للتصديق الآن بعدما تردد أن السبب وراء التخلص من أشرف مروان كان المذكرات التي أسرّ بها صحافي مصري يعيش فى لندن.. هو منير مطاوع.. أنه (سأل مروان عنها في حوار شخصي وأخبره أن مشروع المذكرات بدأ لديه منذ عامين - المقابلة كانت قبل قليل من الموت - وأن صحافياً بريطانياً يكتبها).

ويمكن أن تكون مذكرات مروان خطيرة.. لكن ما هو المزعج في مذكرات سعاد حسني والدافع إلى قتلها بالطريقة الغامضة؟

أصحاب الرواية يربطون بين المذكرات وشائعة انتشرت عن مؤامرة على النجمة الشهيرة من المخابرات المصرية أيام صلاح نصر بعد رفضها أداء بعض المهمات القذرة). ولكي تجبرها المخابرات التى صوّرتها مع مترجم دسّته عليها.

الحكاية وردت ضمن حكايات في كتاب صدر في الثمانينات عن اعترافات (اعتماد خورشيد) وهي زوجة مصوّر شهير في السينما اشتهرت بأنها كانت الوسيطة بين صلاح نصر والنجمات.

رفض الكتاب من قبل أهل الفن والسياسة.. واعتبر أنه كتاب فضائح ضمن سلسلة كتب استهدفت تشويه المخابرات في زمن جمال عبد الناصر.

لكن رواية الكتاب تعتمد بالفعل على بعض تفاصيل واقعية.. حيث كانت تجند نجمات سينما في عمليات كانت تشرف عليها شخصية هامة جداً تقلدت مناصب خطيرة في الدولة فيما بعد.. وجاء اسم هذه الشخصية في الحكاية التي رفضت انتحار سعاد حسني.. وقالت إن طيرانها من الشرفة اللندنية كان بفعل فاعل دفع له شخص ما في القاهرة يخاف من الفضيحة.

وعلى شفيق..!!

ومن الأسماء الشهيرة التي لقيت حتفها في لندن أيضاً.. ولكن عن طريق القتل المباشر.. ولم يعرف أحد حتى الآن من الجاني ولا الدوافع الحقيقية وراء قتله فهو العقيد " علي شفيق " الياور الخاص بالمشير عبد الحكيم عامر وكاتم أسراره.. وزوج الفنانة" مها صبري " وتعرف عليها مصادفة في حفل عيد ميلاد الفنان أحمد رمزى الذى أقامته له زوجته آنذاك الفنانة نجوى فؤاد في ملهى الأوبرج بالهرم.. وكان على شفيق وقتها متزوجاً من سيدة أخرى ولديه منا ولدان.. ولما بدأت تنتشر أنباء علاقته بها خيره عبد الحكيم عامر بين وظيفته واستمراره في علاقته بها.. فاختارها وتزوجها وضحى بالكثير من أجلها كما ضحت هي أيضاً بالفن الذى كانت تعشقه بلا حدود.. وتلقت عام 1977 عرضاً كبيراً من فندق" الأمبريس " بلندن للغناء هناك.. وبعد إلحاحٍ شديد من جانبها وافق على شفيق خاصةً أنه كان قد بدأ يستقر هناك هو الآخر نظراً لطبيعة عمله في تجارة السلاح.. وفى الصيف من نفس العام فاحت رائحة تعفن شديدة من شقة على شفيق واستدعى الجيران الشرطة التى قامت بكسر الباب لتفاجأ بجثة الرجل في حالة تعفن شديد بعد أن مرّ على مصرعه عشرة أيام كاملة.. وجاءت تحريات الشرطة فيما بعد لتؤكد أن الرجل تم قتله بضربة بآلة حادة على رأسه كان قد قتل أثناء إقامة حفل صاخب بالعمارة وذلك حتى لا يسمع أحد صراخه.. الرجل كان محلاً للكثير من الادعاءات

والأقاويل.. وكان يحمل فى جعبته الكثير من الأسرار الخاصة والمتعلقة بفترة هامة من تاريخ مصر لحساسية موقعه وقربه من المشير عبد الحكيم عامر من أهم رجالها.. وكان بجوار الجثة شنطة بها مليون دولار يقال أنها كانت عمولته فى صفقة سلاح.. فى دلالة واضحة على أن من قتله لم يقتله بدافع المال وإنما كان لـه دوافعه الأهم.. وهى طريقة عصابات المافيا المشهورة فى التعامل مع مـن يخـرج عـن قواعـدهم.. وقيل: إنه خالف قواعد التعامل معه ومرر صفقة أسلحة لإحـدى الـدول دون أن يخطرهم بها.. فقتلوه عقاباً لـه على ذلك.. كما تردد أيضـاً أن المبلـغ كـان عربـون اتفاق بينه وبين إحدى دور النشر العالمية كان قـد اتفـق معهـا علـى أن يكتـب لها مذكراته.

علي شفيق.. مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر.. قائـد الجـيش المصـري في 1967.. لم يكن الأول.. لكن قتله بعد الهزيمة بعشـر سـنوات عـام 1977 أعطـى قصة مقتل الليثي ناصف.. رئيس الحرس الجمهوري في الساعات الأولى مـن أحـد أيام عام 1973.. إشـارات إلى أيـدٍ خفيّـة وراء الحـوادث الـتي تسـجل في ملفـات سكوتلانديارد ضد مجهول.

علي شفيق.. الذي عثر الأمن البريطاني على حقيبة تحتوى على مليـون دولار إلى جانب رأسه المضـروب بآلـة قويـة. أي أن كـل عناصـر صـفقة السـلاح.. الـتي اختلف عليها.. كانت موجودة في مسرح الجريمة.

وكان شفيق قد نقـل نشـاطه مـن مكتـب أهـم رجـل ثـان في مصـر إلى تجـارة السلاح.. بعد اعتراض عبد الحكيم عامر على زواجه بنجمة التمثيل والغناء وقتهـا مها صبري.

ورغم أن عامر يشترك مع مدير مكتبه في عشق النجمات.. فهـو تـزوج بـرلنتي عبد الحميد وارتبط بأخريات.. إلا أنه أجبر شفيق على الاختيار. فاختار النجمـة..

وترك بعض أصابعه في عالم قريب من المخابرات التي تربى فيها.. لكنه عالم خطر لا مكان فيه لرجـال بطيبـة وسذاجة رجل (بدلاً من أن يعشـق النجمـات في السـر.. يتزوجهن).. كما كانت صورة علي شفيق وقتها.

أشرف مروان:

موت أشرف مروان أكد أن هناك علاقة بين 3 أشياء.. أولاً الشخصـيات الـتي لها شبكة علاقات متعددة ولها شهرة في الاقتراب من أجهـزة المخـابرات.. وثانيـاً.. طريقة الحياة في لندن التي تعـدّ مركـز تقـاطع أجهـزة ومراكـز صـراع بـين العـرب وإسرائيل. وأخيراً: الشرفات.. التي كانت مسؤولة عن موت 3 مصريين مشاهير في لندن: أشرف مروان والليثى ناصف وسعاد حسني.. وذلك حسـب تقـارير أجهـزة الأمن في لندن التى إما أن تكون ساذجة فـى توضـيحها للحـوادث بالانتحـار.. أو تحاول أن تتهمنا بالعبط.

العملية بالنسبة إلى الجميع مجرد روايات محبوكة تخفي جرائم تصفية مـن النـوع الشائع فى أفلام الجاسوسية.. والمجرم في قصص القتل من الشرفات غير محـدّد: إنـه عميل مخابرات محترف. وتختلف التكهنات: هل يتبع المخابرات المصـرية أو مثيلتهـا في دولـة عربية أخرى أو (الموساد)؟

الموساد هو المتهم الأول في لغز أشـرف مـروان.. لكنـه لـيس الوحيـد.. هنـاك المخابرات المصرية.

التفسـيرات الأولى لتصـريحات الـرئيس المصـري حسـني مبـارك بـأن أشـرف مروان رجل وطني.. أنهـا (إعـلان تبرئـة للرجـل) بعـد مـرور مـا يقـرب مـن 5 سـنوات مــن اتهامــه بأنــه (عميــل مــزدوج).. وهــي التسـمية الأنيقـة لتهمـة الجاسوسية.

لكن هذه التفسيرات لا تنفي التهمة تماما عن الجهاز المصري بـل قـد تشـير إلى

أن التصريحات هدفها الوحيد إبعاد الشبهة عن المخابرات المصرية لا تبرئة الرجل الغامض.

وترى المصادر المنحازة لهذه التفسيرات أنه قد يكون أشرف مروان تجاوز خطوط التعامل مع المخابرات المصرية وأصبح مركز التقاء أجهزة أخرى تتقاطع كلها في لندن.. هي التي تحميه وتجعله مطمئناً للإقامة وحده من دون عائلة في لندن.. رغم أنه يقول للمقربين منه: (سيقتلونني).

كان أشرف مروان أحد المتهمين بتنفيذ القتل فى الجرائم السابقة.. باعتباره شريك الليثي ناصف في عملية تثبيت السادات على مقعد عبد الناصر.. ورغم أن مروان ينتمي أساساً إلي عائلة عبد الناصر.. إلا أنه قرر لعب اللعبة بشكل مضاد لجميع التوقعات.. وأيّد السادات ورفض تسليم محتويات خزانته إلا إلى الرئيس الجديد.

كانت هناك علاقة ما تنسج بهدوء بين الرئيس و(الطفل المعجزة) [1].. كما كان مروان يسمى من جانب صحافة قريبة من السادات نفسه.. انتقاله من الولاء لعبد الناصر إلى السادات منحه (سلطة خفية) غير محدودة في العهد الجديد.. فوجوده يضمن عدم توحيد أسرة عبد الناصر في مواجهة السادات.. كما أن مهارة مروان في غزل ونسج العلاقات وضعته في تقاطع العمليات السرية لدول عربية.. أهمها ليبيا التي كانت الممول الأول للهيئة العربية للتصنيع.. آخر جهة رسمية تولاها مروان قبل رحيله نهائياً إلى عالم الشركات والأعمال الواسعة المدى والثروات.

ثروته أسطورية : قيل إنه حين وفاته كانت تتجاوز 2 مليار دولار - رغم أنه

(1) الأسم الذي اشتهر به إعلامياً أشرف مروان.. وكان أول من أطلقه عليه هو الكاتب الصحفي الراحل "علي أمين ".

مجرّد فرد من عائلة تنتمي للطبقة المتوسطة.. إلى جانب شركات تغطي أنشطة وعمليات سياسية مستترة.

والحكايات التي تتردد حول مروان كثيرة.. وتدور بشكل متناقض إما عن ارتباطه بمخابرات عربية حاولت إخافة نظام مبارك من الاستمرار في كامب ديفيد.. أو أداء أدوار للمخابرات المصرية في ملعب لندن ملتقى خطوط المخابرات في العالم كله.

هكذا بدأت قصة أشرف مروان وانتهت في لندن.

النهاية أعلنها ضابط سكوتلانديارد عندما صعد بناية (كارلتون هاوس) الفخمة في شارع سان جيمس.. حتى الدور الخامس وضغط على جرس البيت. وفوجئ بملامح الخادمة البلغارية.. التي بدت هادئة رغم أن الخبر حمله إليها عن طيران صاحب البيت من الشرفة إلى حديقة المبنى.. بينما كان ينتظره موعدان. الأول اجتماع فى المبنى المقابل مع مجلس إدارة إحدى شركاته في لندن. والثانى مع اهارون برجمان المؤلف الإسرائيلي.. الذى فجّر أول كلمة علنية عن الدور الذي لعبه أشرف مروان بين مستويات عليا في الموساد والمخابرات المصرية.

الخادمة تلقّت الخبر بمشاعر أقرب إلى البلاهة.. وكأنها لم تصدق أن الرجل الجبار.. الذي يعاني ضموراً في عضلة القلب ومن خلايا في الدم تلتهم شرايينه.. يموت هذه الميتة الغريبة. لكنها تعوّدت حياة أقل ما توصف به أنها غامضة.

غموض بدأ فى القاهرة وتشكلت ملامحه الأولى في لندن. وحسب الرواية الشهيرة.. طلب أشرف مروان عام 1968 (فى روايات أخرى 1969) مقابلة مسؤول (الموساد) في لندن. وفي اللقاء قال له: (عندي لكم صفقة لن تصدقوها).

ضابط (الموساد) يعرف من هو أشرف مروان.. الضابط الشاب الذي قفز من موقعه العادي في سلاح الحرب الكيميائية إلى قصر الرئاسة من بوابة العائلة حين

تزوج منى ابنة عبد الناصر. وأصبح على بعد خطوات من سامى شرف.. كاتم أسرار الرئيس والرئاسة.

الصفقة كانت: معلومات من قلب بيت الرئيس في مقابل ثروة من المال (ستحبون أن تدفعوها).. كما قال أشرف للضابط وهو يضع شروطه: (لا أريد تغيير ضابط الاتصال معي).

كان (الموساد) يبحث وقتها عن بديل لإيلي كوهين.. العميل الذي زرعه في أعلى مستويات سوريا وكاد أن يصل إلى منصب وزير الدفاع في حكومة الوحدة المصرية السورية لولا صدفة ساذجة جعلت ضابط مخابرات يتعرف إلى زميله اليهودي في مدارس القاهرة وسط قادة الجيش السوري الذين استقبلوا عبد الناصر.

لكن هل كان أشرف مروان هو إيلي كوهين؟ أم نسخة جديدة من رفعت الجمال.. الذي زرعته مخابرات عبد الناصر في إسرائيل؟

السؤال مستمر ومقلق لأكثر من جهة في مصر.. وخصوصاً أن مصادر في الأمن المصري روّجت إلى احتمال أن تكون تصفية أشرف مروان قد تمت عن طريق قرص أبيض دوار يسبب اختلال التوازن ولا يحتاج التخلص من الضحية إلا إلى دفعها بجوار الشرفة.

الأسئلة لم تنته رغم تصريحات الرئيس مبارك.. ورغم تصريح آخر خطير لوكيل سابق في المخابرات المصرية قال إن (مروان لم يكن عميل مخابرات بل ضابط مخابرات).

هذا يعنى ببساطة أن مروان خاض بهذه الصفة حروبه الأخيرة في عالم تجارة السلاح والمنافسة التجارية.. كما حدث مع الملياردير المصرى محمد الفايد.. الذي ساهم في حصوله على متاجر (هارودز).. ثم انقلب عليه وحاول انتزاعها منه.

الانقلاب هل هو شخصي أم توجيه مخابراتي؟ وهل كان مروان في الخدمة أم

خارجها؟ وهل المخابرات لا تزال موجودة في شرفات لندن؟.

* * * * *

(لندن.. وضحاياها من العرب)

ضحايا آخرون!!

عموماً انضم أشرف مروان برحيله بهذا الشكل الدراماتيكى إلى قائمة المصريين والعرب من ضحايا الموت الغامض فى عاصمة الضباب.. فهناك أيضاً اغتيل " ناجى العلى " رسام الكاركاتير الفلسطينى الشهير الذى عرف هو الآخر برسومه الشهيرة خذلان كل الأنظمة العربية وتفرق دمه بين منظمة التحرير الفلسطينية.. والموساد.. والبوليس البريطانى.. وهناك أيضاً مات " يوسف إدريس ".. و" نزار قبانى ".. وغيرهم.. وإن اختلفت أسباب وفاة كل منهم ما بين الوفاة الطبيعية للأسماء الأخيرة.. والموت الغامض والمجهول للأسماء الأولى.

(ناجي العلي)

الرجل الذي تفرق دمه بين الموساد.. والعرب.. ومنظمة التحرير الفلسطينية!

المفترض في الكاريكاتير أنه فن مضحك.. أو هكذا يجب أن يكون.. نتصفح الجريدة أملاً في آخر نكتة.. لكن هذا الرجل.. الذي عرف بأنه أشهر.. وأقدر رسام كاريكاتير عربي لم يكن يضحكنا.. بل كان.. ومازالت رسومه تبكينا.. على حالنا العربي.. وما آل إليه.

وعندما سألوه هو نفسه ذات مرة: لماذا لا تضحك؟

قال: من يطلب النكتة في العالم العربي فعليه ألا ينظر إلى الكاريكاتير.. بل إلى الواقع السياسي العربي.. عندها سيضحك كثيراً.. بل سيقع من

الضحك.

40 ألف كاريكاتير سياسي:

إنــه نــاجي ســليم حســين العلــي.. الــذي عــرف.. واشــتهر باســم (نــاجي العلــي).. تميــز بالنقــد الــلاذع في رســومه.. ويعتــبر مــن أهــم الفنــانين الفلســطينيين.. رســوماته قــدرت بــأكثر مــن 40 ألــف لوحــة.. أغلبهــا " كاريكاتير سياسي ".

نــاجى العلــى.. مــواطن فلســطيني.. تشــبث بحلــم العروبــة.. ضــد كــابوس الشــتات الفلســطيني بعــد أن اغتصــب مــن بــني قومــه حــق الانتمــاء إلى وطــن.. فأصــبحت قوميتــه العربيــة.. الــتي تســري كالــدماء في جيناتــه.. هــي وطنــه الحقيقــي.. ولأن الفلســطينين.. احتمــوا بالعروبــة مــآلهم.. وعوضــهم.. وكــان العلــي مثلــهم.. تشــبث العلــي بالعروبــة وبــالمخيم.. تشــبث بــالمخيم ضــرورة تحصن ضـد الشـتات وضـياع هويتـه وقـد أدرك العـدو ذلـك فصـار الانقضـاض على المخيمات استراتيجية إسرائيلية لا تخطئ حواس الفلسطيني دلالاتها.

انخرط ناجي العلي بانتماءيه الفني والعروبي في حركة القوميين العرب.. وعمل مصمماً في مجلة الحرية.. ورساما اقترب أكثر فأكثر من الكاتب غسان كنفاني ولعل ناجي العلي تعلم منه حب الحياة ممزوجاً بالاستخفاف بـالموت.. عمـل في الحريـة ودرَّس في الكلية الجعفرية وهي مدرسة شيعية في الجنوب اللبناني.. كان لبنان منـذ النكبة حتـى السـتينيات مرحبـا بالفلسـطيني الصـانع المفيـد لكـن حـرارة الضـيافة والتعاطف بدأت تخفت واضطر ناجي العلي إلى السفر إلى الكويت.

لا يعرف تاريخ ميلاد ناجى العلى على وجه التحديد.. ولكن أرجح الأقـوال أنه ولد عام 1937.. في قرية الشجرة الواقعة بـين طبريـا والناصـرة.. وهـاجر مـع أهله عـام 1948 إلى جنـوب لبنـان وعـاش في مخـيم عـين الحلـوة بعـد الاجتيـاح

الإسرائيلي.. ثم هاجر من هناك وهو في العاشرة.. ومن ذلك الحين لم يعرف الاستقرار أبداً.. فبعد أن مكث مع أسرته في مخيم عين الحلوة بجنوب لبنان.. اعتقلته القوات الإسرائيلية هناك وهو بعد مازال صبياً لنشاطه مع المقاومة.. فقضى أغلب وقته داخل الزنزانة يرسم على جدرانها.. بعدها أفرج عنه.. ثم تم اعتقاله أكثر من مرة في ثكنات الجيش اللبناني.

سافر إلى طرابلس وحصل هناك على شهادة ميكانيكا السيارات.

تزوج من وداد صالح نصر من بلدة صفورية في فلسطين وأنجب منها أربع أبناء هم خالد وأسامة وليال وجودي.

التقاه.. وتبني موهبته الصحفي غسان كنفاني بعد أن شاهد بعض أعماله في زيارة له لمخيم عين الحلوة فنشر له أولى لوحاته وكانت عبارة عن خيمة تعلو قمتها يد تلوّح.. ونشرت في مجلة "الحرية" العدد 88 في 25 سبتمبر 1961.

في سنة 1963 سافر إلى الكويت ليعمل محرراً ورساماً ومخرجاً صحفياً فعمل في الطليعة الكويتية.. السياسة الكويتية.. السفير اللبنانية.. القبس الكويتية.. والقبس الدولية.

عام 1964 انطلقت منظمة التحرير ممثلاً للشعب الفلسطيني فيها ساسة ومقاتلون ارتضاها الشارع الفلسطيني لأن من تبناها وقتها كان عبد الناصر لكن أنظمة أخرى رأت في المنظمة الوليدة فرصة تاريخية لعملية إخلاء طرف أو براءة ذمة من الفلسطيني وهمومه.. أدرك العلي منذ البداية أن المنظمة مخلوق دون مخالب أو أسنان مطلوب منه ببساطة افتراس إسرائيل.

ناجي.. وحنظلة:

حنظلة شخصية ابتدعها ناجي العلي تمثل صبيا في العاشرة من عمره.. ظهر رسم حنظلة في الكويت أول مرة عام 1969 في جريدة السياسة الكويتية.. أدار ظهره في سنوات ما بعد 1973 وعقد يداه خلف ظهره.. وأصبح حنظلة بمثابة توقيع ناجي العلي على رسوماته.

وقد لقي هذا الرسم وهذا الفنان حب الجماهير العربية كلها وخاصة الفلسطينية وخاصةً أن حنظلة هو شبه للفلسطيني المعذب والقوي رغم كل الصعاب التي توجهه فهو دائر ظهره 'للعدو.

ولدت فكرة حنظلة لدى ناجي العلي في 5 يونيو 1967.. أي في يوم النكسة.. ويقول ناجي العلي بأن حنظلة هو بمثابة الأيقونة التي تحفظ روحه من الانزلاق.. وهو نقطة العرق التي تلسع جبينه إذا ما جَبُنَ أو تراجع.

من أقوال ناجى العلى:

* اللي بدو يكتب لفلسطين.. واللي بدو يرسم لفلسطين.. بدو يعرف حالو!!

* كلما ذكروا لي الخطوط الحمراء طار صوابي.. أنا أعرف خطا أحمر واحداً: إنه ليس من حق أكبر رأس أن يوقع على اتفاقية استسلام وتنازل عن فلسطين.

حنظلة ولد لا يكبر:

ولد حنظلة في العاشرة في عمره وسيظل دائما في العاشرة من عمره.. ففي تلك السن غادر فلسطين وحين يعود حنظلة إلى فلسطين سيكون بعد في العاشرة ثم يبدأ في الكبر.. فقوانين الطبيعة لا تنطبق عليه لأنه استثناء.. كما أن فقدان الوطن استثناء.. وأما عن سبب تكتيف يديه فيقول ناجي العلي: كتفته بعد حرب أكتوبر 1973 لأن المنطقة كانت تشهد عملية تطويع وتطبيع شاملة.. وهنا كان تكتيف الطفل دلالة على رفضه المشاركة في حلول التسوية الأمريكية في المنطقة.. فهو ثائر

وليس مطبع.

وعندما سئل ناجي العلي عن موعد رؤية وجه حنظلة أجاب: عندما تصبح الكرامة العربية غير مهددة.. وعندما يسترد الإنسان العربي شعوره بحريته وإنسانيته.

كان لدى ناجي شخصيات أخرى رئيسية تتكرر في رسومه.. شخصية المرأة الفلسطينية التي أسماها ناجي فاطمة في العديد من رسومه شخصية فاطمة.. هي شخصية لا تهادن.. رؤياها شديدة الوضوح فيما يتعلق بالقضية وبطريقة حلها.. بعكس شخصية زوجها الذي ينكسر أحيانا في العديد من الكاريكاتيرات يكون رد فاطمة قاطعاً وغاضباً.. كمثال الكاريكاتير الذي يقول فيه زوجها باكيا - سامحني يا رب.. بدي أبيع حالي لأي نظام عشان أطعم ولادي فترد فاطمة - الله لا يسامحك على هالعملة.

أو مثلاً الكاريكاتير الذي تحمل فيه فاطمة مقصاً وتقوم بتخييط ملابس لأولادها.. في حين تقول لزوجها: - شفت يافطة مكتوب عليها "عاشت الطبقة العاملة" بأول الشارع.. روح جيبها بدي أخيط كلاسين للولاد.

إلى لندن.. حيث النهاية:

صار إجبار ناجي العلي على السكوت أمراً محتوماً.. فلم تعد الأوضاع تحتمل بقاءه في بيروت.. فغادر بيروت إلى الكويت.. وهناك انتقل من مجلة الحرية إلى مجلة الطليعة الكويتية أي أنه يسافر داخل العروبة أو ضمن حركة القوميين العرب راح ناجي العلي يزعج أهل الحكم والثروة في الكويت ويلسع بريشته التقاليد الاجتماعية التي رآها متخلفة.. رسومه في الطليعة ثم في صحيفة السياسة جاءت لتبرر مخاوف الأنظمة العربية من الفلسطيني راعي المشاكل لكن للفلسطيني البناء يد مطلوبة لإنشاء مؤسسات التعليم والصحة والإدارة وكل الهياكل الأساسية في دول النفط

الناهضة فقبلت الأنظمة الوجود الفلسطيني على مضض.. ثم التحق للعمل في جريدة القبس.. لكن معاركه المستمرة مع الأنظمة العربية جعلت من وجوده هناك مستحيلاً.. فصدر قرار بترحيله عن الكويت عام 1985.. فانتقل إلى لندن ليرسم في الطبعة الدولية للقبس.. حمل ريشته.. وقلمه.. وودع دفء فلسطين.. إلى برد لندن.

الاغتيال:

وفي الثاني والعشرين من يوليو 1987 تحققت نبوءته المميتة كاتم الصوت الذي طالما تحصن منه بأحجبة مرسومة كان بانتظاره.. في عصر ذاك اليوم ركن سيارته عند مدخل شارع أيفز في تشيلسي.. ومضى على قدميه قاصداً مقر صحيفة القبس ليسلم كاريكاتير عدد الغد.. ليلقاه من بعيد شاب مجهول.. فيطلق عليه النيران.. طلقة واحدة من كاتم صوت في يد هذا الشاب.. أصابته تحت عينه اليمنى.. أسقطته.. نقل إلى مستشفى "تشارين كروس ".. ظل في حالة غيبوبة أربعين يوماً.. وفي 29 أغسطس 1987 مات ناجي العلي.. ودفن في لندن رغم طلبه أن يدفن في مخيم عين الحلوة بجانب والده وذلك لصعوبة تحقيق طلبه.

من القاتل ؟

مهما كانت هوية القاتل ودوافع الاغتيال الكثيرة يجب أن نثبت هنا أننا نتحمل جميعاً شيئاً من وزر اغتياله كان يهاجم ويجرح ويدمي ونحن نصفق يزداد ضراوة ونحن نضحك ونطلب المزيد صار مقاتلا شرساً نيابة عنا ألا يُذّكر هذا بموقفنا اليوم من أطفال الحجارة جعلناهم أيقونات فازدادوا ضراوة صاروا يجترئون أكثر ويقتربون من الدبابة بنشوة من يسمع تهليل الجمهور لكن الطفل الفلسطيني يواجه الطلقة وحده.. كنا ومازلنا مع ناجي العلي حين يلسع ويجرح ويضرم النيران لكنه كان وحده حين انطلق كاتم الصوت.

هؤلاء طالتهم أصابع الاتهام:

قامت الشرطة البريطانية.. التي حققت في جريمة قتله.. باعتقال طالب فلسطيني يدعى إسماعيل حسن صوان ووجدت أسلحة في شقته لكن كل ما تم اتهامه به كان حيازة الأسلحة.. وفي أثناء التحقيق.. قال إسماعيل: إن رؤساءه في تل أبيب كانوا على علم مسبق بعملية الاغتيال.. رفض الموساد نقل المعلومات التي بحوزتهم إلى السلطات البريطانية مما أثار غضبها وقامت مارجريت تاتشر.. رئيسة الوزراء حينذاك.. بإغلاق مكتب الموساد في لندن.

ولم تعرف الجهة التي كانت وراء الاغتيال على وجه القطع.. واختلفت الآراء حول ضلوع إسرائيل أم منظمة التحرير الفلسطينية أو المخابرات العراقية.. ولا توجد دلائل ملموسة تؤكد تورط هذه الجهة أو تلك.

اتهم البعض إسرائيل بالعملية وذلك لانتمائه إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي قامت إسرائيل باغتيال بعض عناصرها.. كما تشير بعض المصادر أنه عقب فشل محاولة الموساد لاغتيال خالد مشعل قامت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية بنشر قائمة بعمليات اغتيال ناجحة ارتكبها الموساد في الماضي وتم ذكر اسم ناجي العلي في القائمة.

العلي.. ومنظمة التحرير:

وبحسب تقرير للبي بي سي فإن أحد زملاء ناجي العلي قال: إنه قبل بضعة أسابيع من إطلاق النار عليه التقى بناجي العلي مسؤول رفيع في منظمة التحرير الفلسطينية.. وحاول إقناعه على بتغيير أسلوبه.. فقام ناجي العلي بعد ذلك بالرد عليه بنشر كاريكاتير ينتقد ياسر عرفات ومساعديه.. ويؤكد هذه الرواية شاكر النابلسي في كتابه " أكله الذئب " الذي نشر عام 1999 كما يدعي أيضا في كتابه أن محمود درويش كان قد هدده أيضاً ويورد مقتطفات من محادثة هاتفية بينهما كان

العلي قد روى ملخصها في حوار نشرته مجلة الأزمنة العربية[1].

قبره في لندن:

دفن ناجي العلي في مقبرة بروك وود الإسلامية في لندن وقبره يحمل الرقم 230190 وقبره هو القبر الوحيد الذي لا يحمل شاهدا ولكن يرتفع فوقه العلم الفلسطيني. وأصبح حنظلة رمزاً للصمود والاعتراض على ما يحدث وبقي بعد ناجي العلي ليذكّر الناس بناجي العلي.

* * * * *

(1) عدد 170 / 1986/ ص14.

الفهـرس

❊ ❊ ❊ ❊ ❊